قبل الطوفان

التقدم إلى الوراء

وصف تحليلي شامل لمجمل الأوضاع العربية على مدى
ثمانية قرون من عمر التخاذل الشعبي والانبطاح الرسمي،
وحل واحد للخروج من الأزمة

أسعد الغريري



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اســم الكتاب : التقدم إلى الوراء
المـــــؤلف : أسعد الغريري
رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٣٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

قال الكاتب الإنجليزي الشهير مارما دياك باكتال: (يمكن للمسلمين أن ينشروا حضارتهم في العالم، وبنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً بشرط أن يرجعوا إلى أخلاقهم السابقة لأن هذا العالم الخاوي لا يصمد أمام روح حضارتهم).

* سيدي باكتال...بعد التحية: ليس للماء إلا أن يصل المصب مثلما ليس للعرب من المسلمين الحق إلا في أن يعودوا إلى المنبع، فهم يدركون جيداً أن دون ذلك الموت الزؤام ، وأن ليس لهم من خيار آخر بعد أن تقطعت بهم السبل حتى في الممرات المائية الضيقة، فصاروا مذبذبين لا هم إلى الماء ولا هم إلى اليابسة، بعد أن فقد جلهم كل القدرات التي تمكنه من امتلاك الحد الأدنى من مستلزمات الانبعاث أو التقدم إلى الأمام .

المؤلف

المقدمة

إذا كانت وسائل الاتصال الحديثة ابتداءً من الهاتف النقال وانتهاء بشبكة الإنترنت العنكبوتية هي المعيار الحقيقي للتقدم في عصر أصبحت فيه الرذيلة مباحة كالفضيلة عبر تلك الوسائل، فهل معنى هذا أن عصر الرسالة الإسلامية الذي تعايش فيه صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي مع عرب الجزيرة العربية على قاعدة «إنما المؤمنون أخوة» والذي كان المعيار الحقيقي فيه ألاّ تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، عصر تخلف أم كان عصر التقدم الحقيقي؟!!

وإذا كانت صناديق الاقتراع هي وسيلة الديمقراطية الغربية لمواجهة تسلط واستبداد من انتدبهم الغرب نفسه ليتولوا أمورنا، في عصر لا خيار لنا فيه إلا في قبول الإملاءات الغربية، فهل كان أبو بكر الصديق ديكتاتورياً (حاشاه) عندما خاطب المسلمين الأوائل قائلا: «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع إليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم...؟!! أم كان أبو بكر الصديق مؤسس الدولة الكبرى وباني نهضتها؟

وإذا كانت محكمة العدل الدولية في لاهاي، ومحكمة الجنايات العليا عادلتين حقا في ملاحقة المناهضين للسياسة الأمريكية القائمة على الترويع والصدمة والغزو وابتزاز الشعوب وإرهابها، ومنصفتين في محاباة القتلة في تل أبيب وواشنطن وباريس ولندن وروما، فهل كان عمر بن الخطاب ظالما (حاشاه) عندما قال:- والله لو أن ناقة عطشت على ظهر الفرات لكنت أنا المسؤول عنها أمام الله يوم القيامة؟! أم كان إماما للعدل والحق والإنصاف؟

وإذا كان الجلادون لا يخشون الله في الأبرياء من المعتقلين في غوانتامو وأبي غريب وبوكا وغيرها من السجون الأمريكية، ولا يستحون من أنفسهم حينما يتفننون في اغتصاب الرجال قبل النساء، جرياً على عادتهم في إباحة الدعارة، فهل كان عثمان بن عفان وقحا (حاشاه) عندما كان حياؤه يمنعه من أن ينظر إلى زوجه لأنها كانت ابنة نبيه الكريم؟!! أم كان إماما للعفة بجدارة؟

وإذا كانت الصواريخ العشوائية التي تنطلق من الطائرات الصليبية والصهيونية، وترمي حممها فتأتي على البشر قبل الحجر والمدر في فلسطين والعراق وأفغانستان وكوسوفو والصومال وليبيا، وتطال الصغير قبل الكبير على حد سواء، وتجعل أجساد النساء والرجال أشلاء ممزقة على قدم المساواة، فهل كان علي بن أبي طالب سفاحاً (حاشاه) عندما كان يحسن للأسرى، ولا يجهز على جريح

ولا يفزع راهبا في صومعته، ولا يتبع مدبراً، ولا يخرب عامرا، ولا يقتل امرأة، ولا يغدر بأحد، ولا يعقر شاة أو بعير؟! أم كان فارس السيف والكلمة؟

وإذا كان لصوص عصر العولمة الذي رءوا الدين عبئاً على السياسة قد استباحوا ثروات الشعوب، ونهبوا خيراتها بشتى الذرائع ومختلف الأساليب، دون وازع من ضمير، فهل كان سيدنا محمد ﷺ الذي قال لأصحابه ذات يوم: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، إلا نبيًا ناقته القصواء خطواتها أسرع إلى البر من طائرات البوينغ، وسيارات الـBMW، وقطارات مترو الأنفاق في لندن وباريس وروما، وأكثر تأثيراً من راجمات الصواريخ ورؤوس الموت النووية وعربات الهمفي والهمر التي تغص بها ترسانة سلاح حلف الأطلسي، والتوربيدات والفرقاطات التي تجوب بحار ومحيطات العالم طولاً وعرضاً.

هذا هو الحد الفاصل بين العصر الذي نعيش اليوم سنواته العجاف، والذي أصبحت الحقيقة فيه مغلفة بالأكاذيب كما أراد تشرشل لها أن تكون، وعصر الرسالة الإسلامية الذي ارتفعت فيه لغة القيم العليا ليصبح الشبعان فيه آثماً إذا بات جاره جائعاً، وصار فيه من يكرم النساء كريما ومن يهينهن لئيما، وكأن الناس فيه يدفعون السيئة بالحسنة ويخالقون الناس بخلق حسن، وأضحى فيه الله تعالى يتتبع عورات من يتتبع عورات الناس، ويصير فيه إكرام الضيف مقياسًا لإيمان المرء بخالقه، وتصبح فيه ابتسامة الإنسان في وجه أخيه الإنسان صدقة

فيحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، ويكظم غيظه أو يتجاوزه ليرى في الذي بينه وبينه عداوة وكأنه ولي حميم، لذلك سدنا دون أن نكون عالة على أحد مثلما نحن اليوم، فانبهرت الدنيا بنا وبمنجزاتنا الأخلاقية، وبعلماء لنا ما زال الغرب ينهل من معين عطائهم الثر، في شتى مناحي المعرفة حتى يومنا هذا... هكذا كنا يوم كانوا نسياً منسياً، وسنرى كيف ولماذا أصبحوا سادتنا بامتياز ورفضوا حتى أن نكون لهم عبيدا بجدارة حتى في طريقة تحريك أصابعنا؟!!!

فهل أدركت عزيزي القارئ بغيتي ومرادي، وهل عرفت لماذا أنا أرى في الرجوع إلى الوراء طريقا نحو التقدم الروحي، وليس التقدم المادي الخاوي والذي يعتبره وللأسف الشديد المتأمركون من أبناء جلدتنا معياراً للتقدم الحضاري؟! وهل تراني مصيبا فيما ذهبت إليه؟ إذن فلقد أصاب رسولنا الهادي محمد ﷺ حين قال قبل أربعة عشر قرنا: « **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**».

المؤلف

الفصل الأول: بين الكنز المفقود والأمل المنشود

لم نكن نحن أول من عرض بالدراسة والنقد والتحليل للواقع المرير الذي تعيشهُ الأمة العربية على مدى أكثر من ألف سنة خلت، فقد سبقنا إلى هذا المسعى العشرات بل المئات وربما الآلاف من المفكرين والفلاسفة والباحثين والسياسيين والأوساط الدينية والثقافية، ولا مجال هنا للإتيان عليها مرة واحدة في هذه الدراسة التي أردنا لها أن تكون مشروعاً نهضوياً ربما لم يتقدم على سواه إلا في كونه قد خرج إلى النور بعد أن انحسر نطاق العديد من المشروعات التي سبقته في استنهاض أمة استمرأ أبناؤها الكبوة وتوقفوا طويلاً عندها وكأنهم أدمنوها بعد أن خطبوا ودها وتعايشوا معها حتى صارت جزءاً لا يتجزأ منهم، خاصة بعد أن فوّت البعثيون في العراق والناصريون في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين – عن غير قصد – الفرصة على أنفسهم وعلى القوى القومية التي كانت تطمح بأن تراهما يقودان معا حركة النضال القومي في الوطن العربي، كونهما والحق يقال الأكثر أهلية للتعبير عن أماني وتطلعات تلك الجماهير وذلك قبل أن تنشأ قوى إسلامية تحاول اليوم ذبح العروبة بسيف الإسلام وللأسف الشديد.

لقد كان معلمنا وقائدنا وأسوتنا وحبيبنا ونبينا محمد ﷺ الذي وصفه الله تعالى في محكم التنزيل بأن قوله وحي يوحى أول من تنبأ لهذا الواقع المأساوي الذي تعاني منه الأمة العربية التي كان الله تعالى قد أعزها بالإسلام

فقال صلاة الله وسلامه عليه قبل أربعة عشر قرناً: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدّق فيها الكاذب ويكذّب فيها الصادق ويؤمّن فيها الخائن ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل : وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: الرجل التافه السفيه يتكلم في أمر العامة**»[1].

وها هو الزمن الذي أشار إليه رسولنا الكريم محمد ﷺ قد أتانا بالمزيد من التافهين والسفهاء الذين وجدوا في بعض القنوات الفضائية العربية والعالمية حاضنةً لهم، فما زالوا يهرفون بما يعرفون وبما لا يعرفون، وما زال بيننا من تنطلي عليه أكاذيبهم ، فهاهم خونة الأمة يتناسلون بيننا حتى صار لهم صوت مسموع بين عوام الناس بعد أن باعوا دينهم بدنياهم، واشتروا الضلالة بالهدى، واختصروا مطالبهم وحوائجهم بمطالب وحوائج الأنعام وضربوا الكرامة والعزة والعنفوان عرض الجدار، فأي رزية نعيش اليوم؟!

وكان الرسول الأكرم ﷺ قد قال في مناسبة أخرى: « **يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل : أومن قلّة نحنُ يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير لكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: «**يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**» ، رواه أحمد في المسند برقم ٥/ ٨٧٢ وأبو داوود برقم ٤٢٩٧.

(١)مسند أحمد ٣٧/ ١٥، كما أورده الحاكم في المستدرك .

كذلك قال صلاة الله وسلامه عليه: « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء**»[1].(نتمنى على القارئ الكريم قراءة الملحق الأول من هذه الدراسة للاستزادة).

وبالرغم من كل ما تقدم فإن الرسول الأمين محمداً ﷺ أبقى نوافذ الأمل مفتوحة حين قال: « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، (أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما).

أمّا نحن فربما سندمي – عن غير قصد – قلب القارئ الكريم إذ نتعرض لواقع الأمة العربية المغلوبة على أمرها، لكننا نطمئنه أننا بعد هذا العرض السريع؛ سنفتح نافذة عريضة من النور، نتعهد فيها بالاتّساق مع ما كان الرسول العربي محمد ﷺ قد ذهب إليه.

من أين تشكل العقل الجمعي العربي الذي هو بمثابة البوصلة التي تتجه ببني البشر إلى حيث تريد؟ ومن أين تكوّن في القرنين الأخيرين على وجه الخصوص؟ سؤال كبير في دلالاته قياساً مع ما وصلت إليه هذه الأمة التي هي نواة الإسلام الحنيف ومادته التي كان الرسول المصطفى ﷺ قد تنبأ لواقعها المزري يوم قال: تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، (نتمنى على القارئ الكريم قراءة الملحق الثاني من هذه الدراسة للأهمية).

(١)رواه مسلم في صحيحه.

وقد صدقت نبوءة الرسول الأكرم- الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى- فها هي الأمم تتداعى علينا وتستهدفنا منذُ ما يزيد عن خمسة قرون خلت، وربما كان لهذه الأمم الحق في ذلك، فنحن قد أصبحنا فرائس لكل ذي مخلب، وكان من حق ضواري الغرب الجائعة في تخمتها أن تبطش بفرائسها فتلك فطرتها وقد أقرّ دهاقنة الغرب بذلك يوم قالوا: الجدران الواطئة تنط عليها حتى القطط الجرباء، فها هم يتدخلون في الشأن العربي بكل وقاحة دون أن يكون للعرب (الأباة) الحق في التدخل بشؤونهم.

وسنأتي الآن إلى عرض سريع على جلّ ما حدث، فبعد كل ما تحقق لهذه الأمة من عزة ورفعة في أثناء وبعد عصر الرسالة الإسلامية بما لا يزيد عن ستة قرون سقط بعدها مركز الخلافة الإسلامية في بغداد عام ١٢٥٨ ميلادية ٦٥٦ هجرية سقوطاً مدوياً وبشكل مروع توالت بعده الهزائم العربية التي انطوت بها صفحات أمجاد العرب الذين كانوا قد بلغوا مراتب لم يبلغها أحد قبلهم يوم كان كتاب الله في صدورهم وليس فوق رفوف مكتباتهم العالية، ويوم كان النبي محمد ﷺ مثلهم الأعلى وإسوتهم، وكان الإسلام طريقاً يقتفى أثره العرب الأباة إذ ذاك، قبل أن يهبطوا بأنفسهم إلى الدرك في ذلك القاع السحيق الذي وصلوا إليه، حتى قالت أمّ آخر أمراء الدولة الأندلسية لولدها المهزوم:

ابك مثل النساء مُلكا مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

ومنذُ ذلك الوقت والأمة العربية تفتقد الكثير من خصائصها الخاصة، فلم يعد أغلبية العرب أوفياء لرموزهم العليا ولا أُمناء على موروثهم الفكري والحضاري، وتراثهم الروحي والقيّمي، بعد أن اتخذوا كتاب الله صحيفة فصلية يقرؤها البعض رياءً، ويعود إليها البعض على استحياء أو مضض، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠] أمّا السنة النبوية فقد كانت موضع شبهة السفهاء منهم، أو محل اختلاف في الاجتهاد بها وعليها ما حدا ببعض رجالات الدين إلى استنباط أحكام (ميتافيزيقية) من بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وحدا بالبعض إلى تضليل عوام المسلمين بأحاديث مختلقة ما كان الرسول الأكرم محمد ﷺ قد ذكرها. وقد كان الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه قد تنبّأ لذلك فقال في هؤلاء وأولئك قبل أكثر من أربعة عشر قرنا: «**لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار**» رواه البخاري، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « **إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله** » فأين علماء الأمة من دعاة ربما هُمْ يقفون الآن على أبواب جهنم؟ بعد أن أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحله – سبحانه – وجعلوا الإسلام جلباباً على مقاساتهم فقط، ولو كنّا قد قرأنا معطيات رسولنا الكريم محمد ﷺ قراءة واعية لتنبّهنا إلى هذه الظواهر قبل حدوثها فقد حذّرنا نبينا محمد المصطفى ﷺ من مغبة حدوثها يوم قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم مالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**» رواه مسلم في صحيحه.

كان ذلك بعد أن وضع البويهيون عام ٣٣٤ هجريا[1] والسلاجقة[*] عام ٤٤٧ هـ والتتار عام ٦٥٦ هـ، أقدامهم على الأرض العربية حيث بدأت مرحلة جديدة من حياة الأمتين الإسلامية والعربية هي مرحلة الاصطفافات الطائفية والعرقية التي انقسم خلالها المسلمون إلى أكثر من مائة فرقة، وكان لكل فرقة من تلك الفرق أجندة خاصة تختلف عن أجندة الفرق الأخرى، وقد تتقاطع بها أحياناً حتى مع قيم الإسلام الحنيف، فأطاح ذلك الانقسام بالعرب والمسلمين معاً، فذهبت ريحهم بعد أن كانوا أمة واحدة ولم تفلح الأمة -على مدى ثمانية قرون - إلا في تحقيق ثلاثة انتصارات قومية، في عين جالوت عام ١٢٦٠ ميلادية بقيادة سيف الدين قطز

(١)البويهيون: تنتسب هذه الأسرة إلى بويه بن فناخسرو الديلمي الفارسي، وقد حكمت العراق وفارس لمدة تزيد على القرن، وكان الخليفة العباسي ضعيفا بإزائهم أكثر مما كان مع الأتراك فيما بعد، وكان لمؤسسي هذه الدولة علي والحسن ولدي بويه سيادة ومدارات وحلم، ولكن أبناء الجيلين الثاني والثالث الذين جاؤوا من بعدهم ذوي بطش وقسوة وتعصب للمذهب الشيعي، تابع البويهيون سياستهم في إضعاف هيبة الخلافة وجعلها كأنها غير موجودة، وهم بهذا يدللون على بعدهم عن أي حس حضاري، أما نهاية الدولة البويهية فقد كانت على يد السلاجقة بعد أن بدأ الانقسام والنزاع يدبان بين أفراد البيت البويهي.(تاريخ المغول وسقوط بغداد دكتور رجب محمود بخيت).

(*) للحق أقول: أنا لا أستطيع أن أضع بعض معطيات السلاجقة في سلة واحدة مع إساءات البويهيين للعرب والمسلمين على حد سواء.

وفي ملحمة العبور التي رسمتها جحافل المصريين الأباة في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ميلادية، وفي تحرير مدينة الفاو العراقية عام ١٩٨٨ ميلادية من قبضة الاحتلال الفارسي، يومها أفضى- ذلك الانتصار إلى حسم نتائج الحرب التي أشعل أوارها حكام إيران عام ١٩٨٠ ميلادية لصالح العراقيين الأباة في ٨/ ٨/ ١٩٨٨ ميلادية والغريب في الأمر أن أوساطا عربية عديدة أحاطت تلك الانتصارات الشحيحة بالشبهات وللأسف الشديد.

وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي دخلت الأمة أبواب مرحلة جديدة عندما فتح فاسكودي غاما شهية البرتغاليين لاحتلال الخليج العربي عام١٥٠٧ ميلادية، ثم جاء بعد ذلك الدور الهولندي في المنطقة قبل أن يركب الإنجليز والفرنسيون الموجة ليقطفوا ثمار نجاحات أسلافهم بعد تخاذل عثماني معروف إذ ذاك، واتصل ذلك كله بأكثر الضربات إيلاماً لنا - معاهدة سايكس بيكو- سنة ١٩١٦ ميلاديةالتي أصبح العرب بموجبها أشلاءً ممزقة، وكيانات مسلوبة الإرادة بعد أن كانوا لحمة واحدة، وذلك بعد أن فشلت محاولات الجمعيات السرية والعلنية العربية والإسلامية التي تشكلت بين عامي ١٩٠٩- ١٩١٤ ميلادية للنهوض بالأمة العربية من واقعها المرير كالجمعية القحطانية وجمعية العهد وجمعيتي بيروت والبصرة الإسلاميتين عام ١٩١٣ ميلادية، وجمعية العربية الفتاة وغيرها، كما باءت جهود حزب الحرية والائتلاف المعتدل عام١٩١١ ميلادية

وحزب اللامركزية العثماني أواخر عام ١٩١٢ ميلادية بالفشل في معالجة الواقع المأساوي الذي كانت تعيشه الأمة التي كانت خاضعة حينئذ للنفوذ العثماني.

ولم تفلح جهود المفكرين الإصلاحيين العرب أمثال : (محمد عبدة ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان) ، وعبد الرحمن الكواكبي، وعبد الحميد الزهراوي، ورفيق العظم وغيرهم من درء الخطر المحدق بالأمة لأنها كانت لا ترضى إلا غرور النخبة، فاجتمع شتات الصهاينة من كلّ حدب وصوب ليكوّنوا على أرض فلسطين الحبيبة كياناً عنصرياً أعطاه صهاينة الغرب مقومات الدولةسنة ١٩٤٨ ميلادية بعد هزيمة نكراء تعرض لها العرب الممزقون أصلا، أعقبتها هزائم أخرى كانت هزيمة الخامس من حزيران يوليو سنة ١٩٦٧ ميلادية أشدها إيلاماً، وذلك بسبب غياب الخطط العسكرية على مستوى القيادة العربية الموحدة، وعدم توافر الإرادة الحقيقية للقتال، وافتقار الجيوش العربية لمستلزمات المواجهة مع عدو توفرت لديه أسباب الانتصار جميعها بما فيها المساندة المطلقة من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية في جميع المجالات.

وكان لبؤر التوترات التي أنشأتها الدول الاستعمارية في الوطن العربي في العقود الأولى من القرن العشرين آثار سلبية لم تتجاوزها بعض الأنظمة العربية التي كان استقلالها وما زال شكليا وقد أدّت تلك البؤر إلى قيام صراعات عربية ما زلنا نعاني من آثارها إلى يومنا هذا، فخرج العقل الجمعي العربي من رحم الخيبة المتصلة بالضعة والمهانة مهزوماً مأزوماً يعاني الهشاشة الفكرية المزمنة والرعاش الفكري الحاد

وكان من نتائج هذه الهشاشة أن فقد الإنسان العربي ثقته حتى بنفسه وأغلق على بصره وبصيرته أبواب الأمل بعد أن استسلم الأغلب الأعم طواعية لتلك الهزائم، وصار يفكر من خلالها فقط، فتجاوز رموزه العليا وعلى رأسهم الرسول الأمين محمد بن عبد الله ﷺ ونسي أو تناسى قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومما يثير العجب أن نرى الباحث والمستشرق الفرنسي «كليمان هوارت» يتنبه وينبه المسلمين إلى ذلك فيقول: «لو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلما» في وقت نرى فيه الغالبية العظمى من العرب والمسلمين قد أعرضوا عن القيم والمبادئ التي حملها نبيهم الكريم محمد ﷺ.

قال الله تعالى في محكم التنزيل: -﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [عمران: ٣١] وهذا يعني أن المسلمين الذين يحبون الله حقا ملزمون باتباع الرسول الأكرم محمدًا ﷺ، فيا ترى هل هم اليوم كذلك وأين جلهم من قوله ﷺ: « **فوا الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**». (رواه البخاري ومسلم).

بينما اعتزت الأمم الأخرى برموزها البشرية، فظل الصينيون أوفياء لرموزهم العليا بدءًا من كونفشيوس[1] مروراً بصن يات صين وانتهاءً بماوتسي تونغ واعتز رجالات الساموراي في اليابان برمزية الشوغون، كذلك فعل أهل أمريكا اللاتينية حينما التفّوا حول رمزهم في النضال والكفاح سيمون بوليفار، وأحسن بقايا ثوار بريطانيا من الفلاحين التأسي برمزية جورج واشنطن.

في الولايات المتحدة الأمريكية، واصطفت الملايين من أبناء جنوب شرق آسيا وشمالها الشرقي قبل ذلك حول غوتاموا بودا أو بوذا ومنذُ القرن السادس قبل الميلاد تحقيقا لأفكار وضعية في رأس رجل اعتقدت فيه الخير والصلاح[2].

(١)كان كونفشيوس الذي ولد عام ٥٥١ قبل الميلاد في كوفو بالصين، أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي، وكانت فلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى، وتأثر بعمق الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايوانية والفيتنامية، حتى صار يلقب (بنبي الصين).

(٢)يعتبر غوتاما بودا أو بوذا- أي الساهر أو اليقظ – مؤسس الديانة البوذية، والتي تقوم على مبادئه بخلاص البشر من دائرة الولادة المتكررة (سمسارا) لكن أتباعه حولوا تعاليمه إلى مبادئ دينية، ولد بوذا في عام ٥٥٨ ق.م في إقليم ساكيا جنوب النيبال، توفيت أمه وعمره سبع سنوات فربته عمته، تزوج في السادسة عشر من عمره لكنه ترك بيت الزوجية ليعيش اختبارات روحية ويعلن عقيدته ومات وهو في الثمانين من عمره، لكن كتاب سيرة حياته أضافوا لحياته بعض الأمور الملحمية الإسطورية لكي تكون حياته قدوة فمنحوا مؤسس ديانتهم قدسية إلهية ويظهر ذلك في الفن البوذي والعبادات والطقوس البوذية.

كذلك فعل الأتراك فأعادوا بناء دولتهم المدمرة برمزية مصطفى كمال أتاتورك ومثلهم فعل الجرمان مع بطل وحدتهم ليوبلود فون بسمارك[1] وكذلك كان دأب الهنود عندما تأسوا بالمهاتما غاندي – صاحب فكرة العصيان المدني[2].

كان والد بوذا حاكما لإحدى المدن شمال الهند على حدود مملكة نيبال وينتمي إلى طبقة المحاربين، هجر الحياة وعمره ٢١ سنة وتفرغ للتأمل في أمر الدنيا والبحث عن الحقيقة، ترك كل شيء وتحول إلى متسول مفلس، درس على يد عدد من رجالات الدين، حتى اكتشف أن الحلول التي يقدمونها لمشاكل الحياة ليست كافية، فاتخذ الزهد حلاً وحيداً لمتاعب الحياة، أمضى سنوات عديدة لا يأكل ولا يشرب إلا القليل، وعاد واكتشف أن تعذيب الجسد يملأ العقل ضبابا ويحجب عن النفس رؤية الحقيقة فعدل عن الزهد.

(١) في مدينة شونهاوزن الألمانية ولد عام ١٨١٥م ليوبولدفون بسمارك الذي أشرف على توحيد ألمانيا وتأسيس الإمبراطورية الألمانية أو ما يسمى بالرايخ الألماني الثاني، وأصبح أول مستشار لها بعد قيامها عام ١٨٧١م، وقد أثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية الألمانية في نهاية القرن التاسع عشر لذا يعرف بالمستشار الحديدي، بعد وفاته في عام ١٨٩٩م اتخذه القوميون الألمان بطلا قومياً لهم، كما أشاد المؤرخون بدوره كرجل دولة ساهم في الوحدة الألمانية مساهمة فعالة، واستخدم سياسة توازي القوى للحفاظ على السلام في أوروبا في سبعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر.

(٢) ولد موهنداس كرمشاند غاندي في الثاني من أكتوبر عام ١٨٦٩م في غوجارات الهندية، وكان السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال استقلاله، كان رائداً من رواد مقاومة الاستبداد من خلال حركة العصيان المدني الشامل التي تأسست عقب اللاعنف الكامل التي أدَّت إلى استقلال الهند وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم. =

= والمهاتما – أي الروح العظيمة – هو تشريف تم تطبيقه عليه من قبل رابندرانات طاغورا، كذلك تم تشريفه رسميا في الهند باسم بابو أي أبو الأمة، وأصبح يوم ولادته يوماً عالمياً للأعنف.

كما انتصر الفيتناميون بالتفافهم حول الثائر والشاعر هوتشي- منه الذي كان قد قال: نحن لا ندافع عن فيتنام فحسب إنما ندافع حتى عن مزابل فيتنام، لأنها جزء لا يتجزأ منا

ووجد الصهاينة الأراذل في بن غوريون رمزاً لهم فالتفوا حوله وساروا على خطاه وأعانوه حتى في ضلالته ، بينما أحاط سفهاء العرب حتى شرفاءهم بالشبهات، ومن ركام تلك الأمة المأزومة المهزومة تسلل خونة الأمة فأطاحت الخيانة بالشيخ ضاري المحمود في العراق

قام غاندي المحامي المغترب في جنوب أفريقيا باستعمال العصيان المدني اللاعنفي في الفترة التي كان خلالها المجتمع الهندي يناضل من أجل الحقوق المدنية، وذلك بعد عودته إلى الهند عام ١٩١٥م، وقام بتنظيم احتجاجات من قبل الفلاحين والمزارعين والعمال في المناطق الحضرية ضد ضرائب الأرض المفرطة والتمييز في المعاملة، وبعد توليه قيادة المؤتمر الوطني الهندي في عام ١٩٢١م قاد العديد من الحملات للحد من الفقر وزيادة حقوق المرأة وبناء وئام ديني ووطني وزيادة الاعتماد على الذات الاقتصادية، ووضع حد للنبذ تحقيقا لاستقلال الهند من السيطرة الأجنبية.

وبعد أن قاد العديد من التظاهرات للمطالبة بخروج بريطانيا من الهند أودع السجن فقضى فيه العديد من السنوات، أقسم أن يتكلم الحقيقة ودعا الآخرين لذلك، عاش حياة متواضعة في مجتمع يعيش على الاكتفاء الذاتي، ارتدى الملابس الهندية التقليدية والتي نسجها يدويا بالغزل، وكان يأكل أكلاً نباتياً بسيطاً، ربما فكر في ذات يوم أن يكون إنجليزيا نبيلا – خاصة في سنوات شبابه – إلا أنه عدل عن تلك الفكرة فيما بعد، فسر القانون بطريقة تناسب عقلية شعبه، واستطاع أن يلحق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف أولاً ثم العنف إن لم يوجد خيار آخر، وتوفي عام ١٩٤٨م. (أسطورة غاندي دكتور خالد محمد الغيث).

وبالمجاهد الكبير عمر المختار في ليبيا، وبالزعيم العربي جمال عبد الناصر في مصر العزيزةوالأمثلة كثيرة لا عد لها ولا حصر. مما فسح المجال أمام أفراخ مؤيد الدين بن العلقميوالأمير زين الدين الحافظي ونصر الدين الطوسي ودبيس بن صدقة المزيدي لكي يتسللوا إلى مفاصل جسدنا العربي، وبدؤوا ينتشرون انتشار النار في الهشيم حتى حاولوا شرعنة الخيانة أو جعلوها قضية خلافية أجيز للبعض من خلالها الاستقواء بالأجنبي حتى لو كان كافراً، وأجازوا التعاطي معه والتنازل له حتى عن الأحلام الصغيرة للعرب المستضعفين، مقابل تحقيق الأحلام الكبيرة للخونة من العرب والمسلمين، وذهب بعضهم أبعد من ذلك، فخرج بنظرية جديدة مفادها أن الإنسان غالباً ما يتوحد مع الجلاد، بغية استنعاج العرب والمسلمين الذين تمددت دعوتهم بصورة مدهشة، بحيث حققت من الانتشار في ثمانين عاما ما لم تبلغه الإمبراطورية الرومانية في ثمانية قرون.

وكان من نتائج تلك الهشاشة الفكرية أن فقدت الأمة هويتها فما عادت تمتلك مشروعاً خاصاً وعلى المستويات والصعد كافة، وإذا كان لها ثمة منهاج على حد ادعاء أنصاف المثقفين، فهو حبيس أدراج دائرة أنشأتها بريطانيا (آيدن) لخدمة قضايا المملكة التي لم تغب عنها الشمس آنذاك، وذلك عام ١٩٤٥ وقد أغرتنا بتسميتها بجامعة الدول العربية.

أما على المستوى المعرفي فقد صار نخبة العرب والمسلمين تستنجد بسقطات أرسطو طاليس ومن قبله أفلاطون وسقراط، بينما جاهر الغرب في الإعراض عنهم وعن طروحات فلسفاتهم، وآثر الاعتماد على المنهج التجريبي للعرب والمسلمين من أبناء السلف الصالح لبناء دولته الحديثة ، وقد سجل رواد الاستشراق في فكرهم الإنساني تقديرهم العالي للعرب والمسلمين في تطوير العلوم وقد صرح بذلك «يوهان جتفريد هيردر» «ويوهان جوته» «وكورت شبرنغل» «والكسندر فوت هومبولت» وغيرهم العشرات، وكتب «جوزفن رينو» و «أرنست رينان» و «وفرانتس فوبكا» و «إيل هارد» عشرات التحقيقات تتناول فضل العرب على العالم في الرياضيات، والبعض الآخر ناقش معطياتهم في الكيمياء والفيزياء والفلك والطب، أو تناول دور العرب والمسلمين في تطوير العلوم، أو كيفية انتقالها إلى أوروبا عبر إسبانيا وطريق صقلية وجنوب إيطاليا وبيزنطة، ومن يتسنى له زيارة متحف الآلات العربية والإسلامية التابع لمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة «فرانكفورت» بألمانيا ويرى المجسمات لأكثر من ألف آلة تجسد ما وصلت إليه الصناعات العربية والإسلامية من تطور في مختلف المجالات، ويرى كيف أنها قد شكلت الأساس الحقيقي للنهضة الصناعية المعاصرة، سيندب حظه العاثر وسيقف طويلا عند قول المستشرق الفرنسي- المعروف «جول لابوم»: ليتنبه المسلمون أي كنز عرفه الغرب أضاعوه؟ (حسان محمد الباشا، هكذا كانوا يوم كنا).

وعندما جاءت الثورة الصناعية في أوروبا وصار الغرب يصنع بينما كان العرب يصنّعون كالدمى تلبية لحاجات الغرب[1]، سال لعاب بعض الحكام العرب لهذه النهضة فآثروا استثمار الأموال العربية في بنوك أروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية(بحجة الاستثمار)، ليمكنّوهم من تصنيع أسلحة الموت التي لم تفتك بأحد مثلما فتكت بنا خاصة خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية وما بعدهما، ولتصبح البلاد العربية ترسانة لأسلحتهم الفاسدة (الخردة)، أو التي لا تمتلك المؤسسة العسكرية العربية القدرة على استخدامها إلا بعد أن تأخذ الإذن (الشفرة) من دولة المنشأ!!!

قال الشاعر الروسي «رسول حمزاتوف»: لا تخرج الخنجر من غمده دون الحاجة إليه.. ولكن إذا انتضيته فاضرب به، اضرب لكي تقتل الفارس والفرس بطعنة واحدة ولكن.. قبل أن تشهر الخنجر ينبغي أن تعرف أن حدّه قاطع

---

(١)يمكن تعريف الثورة الصناعية في أوروبا الغربية على أنها استبدال العمل اليدوي بالمكننة، وقد شهدت بلدان أوروبا الغربية خلال القرن الثامن عشر نهضة علمية قامت على اكتشاف العلوم التي نقلت من الشرق العربي والإسلامي والتي أسسها وألفها العلماء العرب المسلمون إبان العصر الذهبي للإسلام، فتنوعت الأبحاث لتشمل مختلف فروع العلم لتؤدي إلى اختراعات واكتشافات مهمة كانت السبب المباشر في قيام الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت عوامل قيام هذه الثورة في إنجلترا قبل غيرها تكمن في:-

أ- قوة اقتصاد إنجلترا

ب- الموقع الجغرافي للملكة المتحدة (بريطانيا)

ج- عزلتها عن المشاكل الداخلية.

د- اكتشاف مصادر الطاقة كالبخار والفحم الحجري والكهرباء في تشغيل المحركات والآلات وفي تسيير البواخر والقاطرات.(نقلا عن الموسوعة الحرة).

ونحن هنا نتساءل بمرارة وألم: كيف يكون لنا ذلك (كعرب) ونحن نستورد حتى السجادة التي نصلى عليها من دول الاستكبار العالمي؟!!، كيف لنا ذلك ولعابنا يسيل حتى لحليب النوق المستورد من أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة الأمريكية؟

وكانت الأموال العربية المتحققة من مبيعات خامات النفط الأسود لعنة على العرب، وكان يمكن أن يكون النفط نعمة لنا وليس لعنة علينا لو أحسن شيوخ وأمراء النفط في الخليج العربي -على وجه الخصوص- استثمار العوائد المادية لهذه الثروة الإستراتيجية.

ولفرط غباء معهود في أوساط عربية عديدة بدأ البعض يتغنى ويترنم عن جهالة وسفه ببعض معطيات الثقافة الأوربية، فحرص على استيراد مفاهيم غربية جديدة تتقاطع تماما مع مفاهيم ديننا الحنيف وثوابت أمتنا العربية المجيدة، وكانت الديمقراطية لوناً جديداً من ألوان تلك المفاهيم التي أرادوا بها استبدال شورى محمد ﷺ عن قصد وعن غير قصد بثقافة الديمقراطية التي لم تكن في يوم ما دواء لدائنا المزمن، وكنا نتمنى على المتشدقين بالديمقراطية في عالمنا العربي أن يعرفوا جيدا أن السيادة الكاملة التي لا يتمتعون بها بسبب التدخلات الأجنبية في شؤون بلادهم هي أول شرط من شروط تحقيق الديمقراطية التي يتشدقون بها؛ فيا لبؤسهم!!! فمعايير حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات الشخصية، في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لا تنسجم بالضرورة مع الأنسجة الفكرية والمسلك الحضاري في المجتمع العربي والإسلامي.

والغريب في الأمر أن هناك أوساطاً تمشدقت ومازالت تتمشدق بحب وموالاة النبي العربي الأمين محمد ﷺ بينما هي معرضة كل الأعراض عن هَديهِ صلوات الله وسلامه عليه، وجاهرت بكراهية الشيطان وعمدت إلى لعنه لكنها ارتضت لنفسها أن تكون خليفة الشيطان في أرض الله، وصارت عونا وسنداً له عن سبق إصرار وترصّد، حتى نشأت ثقافة جديدة روّجت لها تلك الأوساط هي ثقافة الاستقواء حتى بالشيطان لتحقيق بعض الأعراض الزائلة، مما فسح المجال أمام المشبوهين ليؤسسوا أحزاباً حمل بعضها اسم حزب الشيطان!!!.

ومن المؤسف حقا أن نرى عددا غير قليل من الدعاة الإسلاميين يشرعنون هذه الثقافة وينتصرون لها؛ حيث قبلوا أن يكونوا شهود زور على أحداث لم يشهدها أحد منهم، فأفتوا على صدى مسموعات تناهت إليهم، وتطوع نفر غير قليل من أبناء الأمتين العربية والإسلامية– بجرأة عالية على الله ورسوله – لأن يكون شاهد زور على ما تناهى لأسماعه من أخبار دون أن يتحقق من صحة ما تناهى إليه من تلك الأخبار، فاستحق من الله ورسوله لعنة في الدنيا وخزيًا في الآخرة، وبعد أن قَبِل أن يكون ضحية الشائعات التي تروّجها مؤسسات سياسية وأخرى إعلامية لغايات باتت معروفة للقاصي والداني، ولنا فيما حصل في الجماهرية الليبية بعد أحداث السابع عشر من فبراير٢٠١١ميلادية خير دليل على ذلك

فقد تطوعت قنوات فضائية عربية معروفة لتنفيذ إملاءات حلف الناتو بتواطئ مفضوح مع عدد من الأنظمة العربية لإدخال القطر الليبيي الشقيق في أتون حرب أهلية، وقد استخدمت لتنفيذ ذلك كل أساليب الخداع والتضليل لتمرير شائعات انطلت وللأسف الشديد حتى على النخبة من أبناء الأمتين العربية والإسلامية، وكان من بين تلك الأساليب التي مارستها بعض القنوات الفضائية العربية صناعة مجسمات في مناطق خاصة لإيهام رعاع الناس بأنها مشاهد واقعية حدثت هنا وهناك وهي ليست كذلك .

هذا في جانب وفي جانب آخر فقد أسرفت أطياف أخرى من أبناء هذه الأمة في الجهل حتى صارت مرجعية في فن الجهل فركبت الغالبية العظمى منها ظهر حمار الجهل حتى صارت غبية بامتياز، إذ تعذر على الصحفيين العرب أن يحاججوا الرئيس الأمريكي أوباما يوم وقف في إحدى الجامعات ليستشهد نفاقاً بقول الله تعالى : ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ .المائدة ٣٢، فيسألوه عن مسؤولية الولايات المتحدة الأمريكية في قتل ملايين البشر في اليابان وفيتنام وكمبوديا والصومال ولبنان والعراق وأفغانستان وليبيا وغيرها، وبدلا من ذلك قابله لفيف من العرب المغفلين بعاصفة هوجاء من التصفيق، بينما سقطت على الجانب الآخر غالبية أخرى ضحية الشائعات، فأقرت دون تحقق وصادقت بغير بيّنة، ونعقت وراء كل ناعق واستمرأت الجهل لتهبط بنفسها إلى منازل الببغاوات

كل هذا كان بعد أن تفشّت الأمية فينا، وليست أمية القراءة والكتابة بأخطر علينا من الأمية الفكرية التي بلغت نسبتها بين أبناء البلاد العربية (٩٦٪) حسب آخر التقارير العالمية، فلم يعد مستغرباً أن نجد الأمية الفكرية قد تفشت حتى بين أساتذة الجامعات العربية والمعنيين بشؤون الفكر والثقافة والعلوم في عالمنا العربي أو الإسلامي على حد سواء. (نتمنى على القارئ الكريم قراءة الملحق الثالث من هذه الدراسة للأهمية).

وقد صدقت وللأسف الشديد تصورات غولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني فينا عندما قالت:- إن العرب لا يقروؤن وإذا قرؤوا لا يفهمون (أو لا يتذكرون)، ولا أدرى ماذا كان سيقول فينا الفيلسوف الدانماركي سورين كجارد الذي كان قد قال: لا يكفي أن نفهم الآخر بل الأهم من ذلك أن نفهم ما يفهم الآخر عنا.. إذا علم أن جُلّ العرب لا يفهمون هذا ولا ذاك ولا أولئك؟!!!

وكان من تداعيات تلك الهشاشة الفكرية أن توزعت ولاءات العرب والمسلمين على حد سواء ، فمنهم من وجد في مشروع مصطفى كمال أتاتورك في تركيا الحديثة ضالته، أو تنازل عن ثوابت الأمة فانتصر لفكرة إعادة مجد الدولة العثمانية، ومنهم من رأى في الطروحات الإيرانية التي دعت إلى بعث أمجاد الدولة الصفوية – لأسباب مذهبية – حاضنة له حينما لم يجد بين يديه مشروعاً عربياً أو إسلامياً متكاملاً

ورأت أوساط أخرى ضمت العديد من أرباب السوابق والمنحرفين أخلاقيا في المشروع- الغربي الأمريكي – ملاذا لها فارتضت لنفسها أن تكون محل شبهة الآخرين الذين اتهموها بالعمالة للولايات المتحدة الأمريكية أو بالتبعية لمنظومة الاتحاد الأوروبي- وهي كذلك – لأنها وجدت في بني الأصفر وعاءً يستوعبها ودريئة تقيها شر استقوائها بالغرب الصليبي والذي هو ليس من المسيحية السمحاء بشيء.

وعندما أدرك العرب ذلك ولو بعد حين، وقفوا أمام مرآة خيبتهم فأعجبتهم صورة خلطائهم في لندن وباريس وروما وواشنطن فتشبهوا بهم، فأغرتهم طرائقهم حتى في تقليم أظافرهم، فتشبهوا بهم حتى في هذه، وبدأوا يتغنون بأمجاد الخائب ريتشارد قلب الأسد ويكيلون الطعنات واللعنات لأسباب اثنية أو طائفية ما أنزل الله بها من سلطان للقائد المسلم يوسف بن أيوب الذي اشتهر باسم صلاح الدين الأيوبي فاستقووا بأعداء الأمس ليجعلوا منهم أصدقاء اليوم، متناسين قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]

فتركوا وراء ظهورهم تراثا فكريا عظيما تشكّل من معطيات الرجالات الذين التفّوا حول نبينا الأكرم محمد -ﷺ- أبي بكر الصديق، والفاروق ، وذي النورين، وأبي تراب، بعد أن اختلفوا على موالاتهم ورموهم بحماقة معهودة بسهام الشبهات

وآثروا أن يقتفوا أثر كتب صفراء صفوية المنشأ (نتمنى على القارئ الكريم قراءة الملحق الرابع من هذه الدراسة للاستزادة)أحاطت أصحاب محمد ﷺ بوابل من الشبهات، متجاوزين رضى الله تعالى عنهم والذي وثقه عز وجل في محكم كتابه الكريم حيث قال تعالى :

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، كما سمّاهم عزّ شأنه بالسابقين وأكد سبقهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٠: ١٨] فطعن أولئك الذين ليس لهم حظ حتى في أن يصبحوا عبيدا لأصحاب محمد في سبق أولئك الرجال الذين أوصلوا الإسلام الحنيف إلى أبعد الأصقاع فلولاهم ما كان لدين محمد أن يطرق أبوابنا أو يستقر في عقولنا وأفئدتنا فقد جسدوا بحق قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ عندما اصطفوا حول نبيهم المصطفى محمد ﷺ وكانوا معه كالبنيان المرصوص، بينما نحن اليوم نرى المسلمين يتوزعون على عشرات الفرق ولكل فرقة من هذه الفرق شرعة تختلف عن شرعة الفرق الباقية ومنهاج ربما ليس بينه وبين منهاج محمد وشرعته حتى النزر القليل من نقاط الالتقاء، لقد كانوا أسوأ خلف لخير سلف في جرأتهم على الله أولا وفي تجاوزهم على أسيادهم وجرأتهم عليهم ثانيا، فهل للعبد أن يقاضي سيدة؟!!.

كما ضربت تلك الأوساط التي أشرنا إليها عرض الجدار بالإنجازات الجهادية لأبي ذر الغفاري، وخالد بن الوليد ومحمد بن القاسم الثقفي وأبي محجن الثقفي والقعقاع بن عمرو التميمي، وموسى ابن نصير، وطارق بن زياد وهرثمة بن أعين وصلاح الدين الأيوبي الذي فارقت الابتسامة محيّاه حتى تم له فتح بيت المقدس في معركة حطين عام ٥٨٣ هجرية، فأين نحن اليوم من غيرة ذلك الرجل الذي تتصل غيرته على الإسلام والمسلمين مع غيرة المعتصم الذي رحل عنّا ولم يترك فينا من يحمل نخوته في عصرنا الحديث؟

كما تجاوزنا المعطيات العلمية والفكرية للرازي وابن حيان وابن الهيثم والفارابي والخوارزمي وابن سينا والقاضي الفاضل وابن رشد وابن خلدون، حتى صار مثلنا الأعلى اليوم رونالدو ومسّي. ومارادونا ومادونا ومايكل جاكسون وأغاني الروك أندروك ورقصات السامبا الشوهاء، فلقد تشبهنا بالغرب حتى نسينا ودون حياء تحذير الرسول الهادي محمد ﷺ لنا من مغبة ذلك التشبه عندما قال: من تشبه بقوم فهو منهم (أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٤٤/ ٢٠١٣، وأحمد في مسنده ٢/ ٥٠، وقال الألباني سنده حسن رجالة تقات) .

وبلغنا مرحلة صار جلّنا فيها قطيعاً من الدهماء فأطبقت الهشاشة الفكرية فكّيها علينا والتهمتنا فصرنا إمعات أو قل ببغاوات لا تحسن إلا ترديد ما يقوله الآخرون وللأسف الشديد فنسينا قول الله تعالى: أفلا يتدبرون؟ وأفلا يعقلون؟ وأفلا يتفكرون؟

ورمينا وراء ظهورنا قول الله عز وجل للعقل البشري يوم خلقه: ما خلقت خلقا أعظم منك وأعز منك،.. فأصبحنا ضحية لكل إشاعة يطلقها أي صفيق من أي قناة إعلامية مأجورة، لأننا لا نعرف كيف نتدبر أو كيف نعقل أو حتى كيف نفكر؟، وذلك لأن أمة محمد التي حثها الله على القراءة لم تعد تقرأ، فغدا جلّها هشا قابلاً للكسر وطرياً قابلاً للتشكّل، وفق مقتضيات الحاجة في كل حين، وقد استفز سوءنا الفيلسوف جورج برنارد شو فقال: إنني أؤمن بإسلام النبي محمد وإسلام الخلفاء الراشدين، وليس بإسلام مسلمي هذا العصر.. (نتمنى على القارئ الكريم قراءة الملحق الخامس من هذه الدراسة)

أما الغرب الصليبي فقد استثمر هذه الهشاشة التي أصابتنا بمقتل، وغذّى أعراضها ونمّاها لكي يتجاوز الإنسان العربي اعتزازه بعروبته، فيردد ما قاله الشاعر الليبي الدكتور شعبان عوض في لحظة غضب:

كفرتُ بيعرب من ذا يلومُ — لعل الكفر يجعلني مهابا

كفرتُ بيعرب من ذا يلومُ — لعل الكفر يكسبني الثوابا؟

ثم عدل بعدها عن موقفه واعتذر قائلا:

ولكن لا تصدقني فكفري — هو الإيمان ما جزت الثوابا

أحب عروبتي وأعوذ فيها — ولولا الحب ما قلت السبابا

ربما كان الاستعمار الحديث القديم قد انتهى شكلياً مع أوائل العقد السابع من القرن الماضي، وذلك بإعلان سلطات الاحتلال الاستقلال الشكلي للعديد من الدول العربية التي ما كانت تدري أن البريطانيين والفرنسيين ومعهم الإسبان قد أحالوا الملفات العربية إلى البيت الأبيض الأمريكي سعياً وراء الثروات العربية، واستكمالاً لصورة الاستعمار الجديد- الأكثر حداثة والأشد بشاعة – للدول العربية التي آثارت عدم الانعتاق وفضلت أنظمتها السياسية التبعية الكاملة لقوة عالمية كانت قد جاهرت بتسميتها قوى الاستكبار العالمي!!!.

وكان الاستعمار الجديد القديم قد وضع منهاجاً جديداً لاستعمار المنطقة العربية برمتهاً، وعلى مراحل كان مظهرها الأول التجارة والنخاسة، حيث يتم جمع عدد من الممولين للمساعدة والإنفاق المادي (شركات النفط والنجارة) ثم الدعوة لمشاركتها بعض رجال الحكم حصولاً على الأرباح الوفيرة، ومن ثم استغلال نفوذ أصحاب الحكم لحماية المشروع ليكتسب الشرعية، ولينتهي إطار العمل بتمويل المشروع في صيغته النهائية إلى مشروع حكومي، ثم تأتي المرحلة الثانية والتي تسمى بالمرحلة التمهيدية، والتي يتم خلالها التعرف بزعماء وكبراء الشعوب المستعمرة، وإغداق الهدايا والأموال عليهم، ثم المطالبة بالتجوال للدراسة والسياحة حتى يتصل أفراد البعثات المكوكية بأهل البلاد، حيث يتم توفير الدواء والغذاء والأقمشة لهم، وتتم عملية معالجة مرضاهم، ثم تأتي مرحلة التبادل التجاري الظالم

فمرحلة فتح البنوك والربا الفاحش قبل الاحتكار والاحتلال المباشر رغبة في حماية مصالح المستعمر الجديد، ثم تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة وهي مرحلة تضاد المصالح والتنافس بين المستعمرين، وكانت تلك المرحلة غالبا ما تنتهي بالتوافق والإنفاق على الفريسة، ويقول الأستاذ ممدوح عبد المنعم في كتابة بانوراما عربية (١): إن ذلك كله جاء وفقا لدراسات بحثية ومؤلفات امتلأت بها مكتبات أوروبا لتدريس فنون الاستعمار ليكون علما بذاته، أما نحن العرب فقد بقينا مشغولين بفن الجهل والتخلف الذي ترك لنا أعدادا لا بأس بها من فلاسفة المقاهي، رويبضات العصر، وتلك هي محنتنا.

وعندما تولى الاستعمار الأمريكي الجديد إدارة شؤون المنطقة العربية جعل القوة أمام وخلف وفوق الجميع، بعد أن أدار ظهره حتى لمجلس الأمن الدولي والمنظمات التي انبثقت عنه، بعد أن جعل منها دكاكين سياسية تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، وما حدث للمندوب المصري في هيئة الأمم المتحدة في الصومال «كمال الدين صلاح» في خمسينيات القرن الماضي مع رئيس شركة «لامبرسون» الأمريكية إلا مثالاً حياً لما ذهبنا إليه وذهب إليه قبلنا الأستاذ ممدوح عبد المنعم في كتابه بانوراما عربية (١) فقد أصبح السفير المصري ضحية مجابهته الشجاعة للأطماع الأمريكية في ثروات الصومال النفطية، حيث أسلم الروح بعد طعنات غدر تلقاها بينما كان يعبر الشارع أمام بيته في مقاديشو

وهناك أمثلة كثيرة يمكننا أن نستدل بها على الابتزاز الأمريكي، فقد لجأ البنتاجون إلى خدمات «داني كورب» الخاصة لتدريب عناصر من جيش «قدامي» جيش الشعب السوداني في الجنوب، والتي تشمل تدريب آلاف العناصر وتسليحهم مقابل «أربعين مليون دولار»، تحت شعار إعادة تأهيل جيش السودان الجنوبي الجديد، تمهيداً للاستعانة به في مواجهة الحكومة السودانية أو استعدادا للانفصال. فشكرا للمنبطحين من السودانيين الداعين إلى قبول قوات الاحتفالية الأمريكية الباحثة عن النفط وأموال السودان التي تعود عليه بالعديد من مليارات النفط السوداني!!! هذا في جانب وفي جانب آخر فإن الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣ بحجة البحث عن أسلحة الدمار الشامل وتثبيت قواعد الديمقراطية الأمريكية الجديدة دلائل أخرى على ما كنّا قد ذهبنا إليه.

أما الحديث عن حقوق الإنسان التي يتشدق بها جنرالات أوروبا الغربية وأمريكا الحديثة ويتغنى بها المتامركون من العرب، فهو حديث يبعث على الضحك والسخرية، فصورة من امتلأت بهم السجون الأمريكية في غوانتنامو ومأساة العراقيين في سجن بوكا وأبي غريب إبان الغزو الأمريكي للعراق وسط صمت منظمات المجتمع المدني في العالم كله، تذكرنا بصورة السوداني الذي يتوجب عليه أن ينزل من دابته إذا شاهد شخصاً إنجليزياً يمر بجواره، فيقف إذا كان جالساً ويلقي بسلاحه على الأرض إذا كان لديه سلاح ثم يرفع يديه إلى الأعلى تعبيراً عن استلامه ومسالمته

ثم يخرج لسانه ليبرهن للسيد الانجليزي – أثناء فترة الاحتلال البريطاني للسودان – على أنه لن يشتمه بعد مروره من أمامه (نقلا عن صاحب كتاب رحلة إلى السودان، المطبوع عام ١٩٥٤) . أما الحديث عن وجههم الآخر – منظمات حقوق الإنسان – فهو يحمل الكثير من الريبة.

وشكراً للسيد «عادل نجيب محمد أحمد» عضو المنظمة العربية لحقوق الإنسان الذي كان قد قال لقناة الفراعين المصرية في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر كانون آخر ٢٠١١:

«إن منظمات المجتمع المدني في عالمنا الحديث منظمات مريبة» وقد شهد شاهد من أهلها».

لقد تركونا مهمومين بالحديث عن نبوءات مستقبلية لقيام الساعة، بينما هم يخططون لعالم ما بعد مليار سنة، بعد أن تناسينا قول الرسول الأعظم ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل» رواه أحمد في مسنده ١٢٥١٢ واللفظ به، والبخاري في الأدب المفرد ١/ ٦٨ وقال شعيب الأرنؤوط وآخرون إسناده صحيح على شرط مسلم، وتجاوزنا قول الله تعالى في الآية ٧٧ من سورة القصص ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾.

وعندما تأكد طواغيت الغرب أننا قد سقطنا في فخ الخيبة واستسلمنا لها، أعدوا العدة لحملة صليبية جديدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أيلول ٢٠٠١ ميلادية المفتعلة أمريكيا على حد قول عددٍ كبير من الكتاب والمفكرين في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا

وكان شعار تلك الحملة مستوحى من مقولة كان وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر – أحد أعمدة الحركة المسيحية الصهيونية – قد قالها في سبعينيات القرن العشرين:

إذا أردتم كسر إرادة الأمة العربية فابدؤوا بكسر إرادة الأمة العراقية، وقد فعلوها فأمعنوا في استباحة كل شيء في العراق حتى غالوا في قتل وتجويع وتهجير الإنسان العراقي وأسرفوا في إذلاله وانتهاك حرماته، بعد أن أجهزوا على العراق وضربوه ضربة رجل واحد في ١٩/ ٣/ ٢٠٠٣ميلادية، فوقع العراق مضرجا بالدماء لكنه وبفضل الله ومنّته وبفضل المقاومة العراقية الباسلة كاد التنين الأمريكي أن يسقط على أرض الرافدين، لولا المدد الذي جاءه من دعاة الصحوة، وأنا على يقين من أن الغزاة الأمريكان أخذوا يعضون أصابع الندم على ما فعلوه، وأخذوا يلعنون على استحياء أسيادهم الصهاينة الذين دفعوهم لغزو العراق دفعاً، تحقيقا لنبوءات نوستردا موسيه[1]، وسيعمدون إلى التخلي عن عملائهم في المنطقة الخضراء ببغداد في أقرب الآجال، بعد أن تجاوزت خسائرهم في الأرواح عشرات الآلاف من القتلى والجرحى

(١)هو طبيب ومنجم فرنسي ولد عام ١٥٠٣م، وعاش في كنف عائلة يهودية اعتنقت الكاثوليكية فيما بعد، درس الطب وساهم بخبرته بمكافحة مرض الطاعون الذي اجتاح أوروبا، واهتم بالتنجيم وجمع قراءته للمستقبل القريب والبعيد في كتاب التنبؤات حيث قام بكتابة توقعاته على شكل رباعيات غير مفهومة.

بينما وصلت خسائرها المادية الترليونات الثلاثة من الدولارات الأمريكية على حد اعتراف جمعية المحاربين القدماء في الولايات المتحدة الأمريكية.

كل هذا حدث وسط صمت عربي وإسلامي يشبه إلى حد ما صمت القبور، وبمباركة عدد غير قليل من الأنظمة العربية، واندهاش بعض الأوساط الأوروبية المعتدلة واستهجان واستنكار الفعاليات الشعبية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية!!!.

بعد ذلك حاول الغرب الأوربي أن يلعب ذات اللعبة التي لعبها جورج بوش الصغير في العراق ولكن هذه المرة مع الشعب الليبي البطل، فشن في ١٩/ ٣/ ٢٠١١ ميلادية حملة إبادة جماعية طالت البشر قبل الحجر والمدر، واتّسقت أهداف هذه الحملة مع أهداف الغزو الأمريكي لأرض الرافدين، لكن الصمت العربي كان مع الحالة الليبية أشد ضراوة، قابله مباركة عربية تمثلت في موقف عدد من الأنظمة العربية التي تمكنت من الخروج بقرار تبنته الجامعة العربية أفضى- إلى استصدار قرار أممي برقم ١٩٧٣ أباح للغرب الصليبي استهداف الجماهير العربية في ليبيا الصمود، فسينبري لهم شعب صعب المراس في مقاومة نوعية تتسق مع المقاومة الفلسطينية البطلة والمقاومة العراقية الباسلة والفعاليات المقاومة الأخرى في أرجاء عديدة من عالمنا العربي والإسلامي، وبذلك يبدأ نطاق مناهضة ومقاومة المشاريع الاستعمارية الصليبية بالاتساع شيئا فشيئا بين أوساط عربية عديدة

وهذا في حد ذاته يمثل نقطة ضوء يمكننا أن نستدل بها ومن خلالها على معالم طريق قديم نراه جديدا ونرى في ثناياه ومقترباته سبيل الخلاص مما نحن فيه الآن، ألا وهو طريق المقاومة التي لم يكن نطاقها المسلح في الوقت الحاضر هو الخيار الوحيد، وربما لم يكن لبعضنا أن يقتفي أثر ذلك الطريق لولا سهام الاستهداف التي رمتنا بها غربان الحقد الصليبي خاصة في العقود الخمسة الأخيرة، فشكراً لها فقط لأنها جعلتنا نعرف بشكل واضح خونة الأمة، ولأنها علّمت حتى المتهاونين منّا والمتخاذلين بيننا أن طريق المقاومة وبكل أشكالها هو المخرج الأخير من هذا المأزق العربي، والذي يجب أن يسير نطاقها المسلح خلف إطارها التوعوي الذي يقوم على مقاومة الجهل الذي استشرى بين أبناء الأمتين العربية والإسلامية أولاً وقبل كل شيء، فقد يعمد الجاهل إلى قتل نفسه بسبب سوء استخدامه للسلاح- وتلك جهالة أخرى- وليس معنى قولنا هذا إننا نتقاطع مع فصائل المقاومة المسلحة التي بدأت تتحرك هنا وهناك أو نقف على طرفي نقيض منها، لكننا نعتقد أن طريق الانعتاق يجب أن يبدأ من التصدي الحازم والشجاع لآفة الجهل – هذا هو جوهر فلسفتنا وعقيدتنا– التي ستكون رديفا للمقاومة المسلحة والتي سنجابه بها تلك الآفة التي أورثت العرب والمسلمين قطيعا من الدهماء، وهذا يمثل بحد ذاته انتصاراً حقيقيًا لهذه الأمة إذا ما قررت الخروج عن صمتها المريب.

فبالرغم من التفاوت بين القطبين المتعارضين – الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق – في المستوى الاقتصادي والقوة العسكرية، فإن دولة العبيد – أي دولتنا نحن العرب المسلمين – بحسب الوثيقة الصادرة عن مجلس الأمن القومي الأمريكي في إبريل ١٩٥٠ تحت رقم ٦٨، تتمتع بمزايا هائلة، فلكونها متأخرة جداً،فإن بوسعها أن تفعل الكثير بالقليل، إن ضعفها هو قوتها، وهذا هو سلاحها النهائي. نقلاً عن كتاب حرب العقول للدكتور فيليب تايلور.

إذن فهم يروننا أقزاماً وعمالقة في آن واحد، فلنكن عمالقة رغم أنوفهم، وأنهم يتهموننا بالتخلف، ويحسدوننا لأن لنا طاقة فظيعة على العمل بحرية اختيار تكتيكية واسعة جداً، وبخفاء وسرعة،مع مرونة فائقة، وآلة عسكرية فعالة للغاية، وقوة إكراه كبيرة، فلنكن كذلك .

قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ وإذا كان عميد البيت الصهيوني المقبور(بن غوريون) لم يخف مخاوفه وخشيته من أن يظهر في العالم العربي محمد جديد فإننا نُطمئن أفراخه في تل أبيب بأننا نحن المسلمين سنناهض المشروع الصهيوصليبي باقتدائنا بصفوتنا وأسوتنا ومعلمنا ورسولنا الأكرم محمد ﷺ وهذا هو خيارنا الأوحد، ورحم الله المفكر العربي الذي قال: كان محمد كل العرب فليكن كل العرب محمدًا، ولنا أن نهمس في مسامع دكتاتور البرتغال العتيد ساليزار ونبدد مخاوفه من أن يصدر المسلمون خلافاتهم إلى غرب أوروبا ونقول له: إننا سنوحد مواقفنا ونتجاوز خلافاتنا وسنقاتلكم بوحدة إرداتنا

ولنا أن نلفت انتباه العرب والمسلمين الذين تقطعت بهم السبل وما زالوا يقفون على مفترق طريق معالمه غير واضحة مذبذبين بين هذا وذاك ونعيد على مسامعهم قول المستشرق البريطاني المعروف مونتغمري وات في نهاية لقائه مع صحيفة التايمز اللندنية في مارس آذار عام ١٩٦٨: إذا توفر القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام فمن الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى، وندعوهم مخلصين لإعادة النظر في جميع حساباتهم ويضعوا ثقتهم بمعطيات هذه الأمة بدلا من الاستقواء بأعدائها، فمن غير المنطقي أن يرسم لنا مونتغمري وات وهو رجل إنجليزي خارطة طريقنا نحو أفق الأمة الجديد ولا نتلمس نحن العرب معالم الطريق نحو غد الكرامة!!!

نافذة للأمل:

وإذا كانت المتلازمة الصهيونية الصليبية قائمة ومتجانسة تحقيقا لغايات دنيئة مرادها امتصاص ثروات الشعوب وكسر إرادتها، فإن العرب المسلمين في متلازمة لا ولن تنفصل عراها أبد الآبدين، تحقيقا للرخاء والسلام العالميين، وكان الرسول الأكرم محمد ﷺ أول من وضع أسس وقواعد هذه المتلازمة بين العرب والمسلمين وذلك عندما قال: أحب العرب لثلاث، لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي (قال الحافظ السلفي: هذا حديث حسن وأورده الطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان)

وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي، وقال الرسول محمد ﷺ: فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني (فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٦٦٦ ص ٣٧، وأورده الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الوسيط)

هذا هو موجز مفيد لمشروع جديد نتبناه لإحياء مشروع نقل العرب في أرض الجزيرة العربية من رعاة غنم إلى قادة أمم في صدر الرسالة الإسلامية السمحاء وبفضل الإسلام الحنيف، يوم كانت أمة الإسلام برجالها ونسائها بشيبها وشبابها على مستوى واحد من المسؤولية، (نتمنى على القارئ الكريم قراءة الملحق السادس في هذه الدراسة).

كما وأتمنى على من يرى في هذا المشروع خيراً أن يقف طويلاً عند كل جزئية أتينا عليها خاصة في قراءتنا لمعطيات ديننا الإسلامي الحنيف وأن يكون صادقا مع نفسه أولا عندما يجاهر وبشجاعة – ربما هي غير معهودة فيه من قبل – بالإقرار بنئيه عن المنظومة القيمية العليا للسلف الصالح من العرب المسلمين فيعلن عن عزمه اقتفاء آثار الأبناء البررة للأمتين العربية والإسلامية في عصر رسالة الإسلام الخالدة.

كما نتمنى على من يرى في هذا المشروع سبيلا لخلاص هذه الأمة من محنتها أن يتّبع عن وعي مطلق سيرة الرسول البشير النذير محمد ﷺ ويتأسى به بوصفه الرمز الأعلى لهاتين الأمتين، وأن يبقى على اعتزازه بعروبته وأن يدرك بعين العقل أن التكالب الغربي المحموم على العرب والمسلمين واستهدافه لهما هو خير دليل على أن هاتين الأمتين أكبر من تخرصات الصليبيين والصهاينة، وأن يعمد إلى اجتثاث عناصر الخيانة والانبطاح من جسد الأمة العربية بالحكمة والموعظة الحسنة، فربما كان الجهل الذي غلف تلافيف عقل الإنسان العربي قد أطبق على قنوات وعيه وعطّل منظومتها الفكرية، ونحن على يقين من أن ذلك سيضع الإنسان العربي في صورة المؤمن الحقيقي بقيم دينه الحنيف، وعند ذلك سيكون حقيقا على الله أن يكشف الضرّ عنّا نحن العرب وينصرنا نصراً عزيزاً مؤزراً، ويومها لن يكون للكافرين علينا كعرب وكمسلمين وصاية أو سبيل، وسنخرج من دائرة استهدافهم لنا وتربصهم بنا، ومن هنا يجب أن نفهم جدلية العلاقة بين العرب والإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٤]. ونحن نعتقد أن بندقية الوعي هي السلاح الأكثر فاعلية في الوقت الحاضر لمجابهة أعداء الأمة.

ونقول لمن أراد أن ينفض عن نفسه غبار الذل والضعة والمهانة: إن التأسي بهدي رسولنا المصطفى محمد ﷺ واقتفاء أثر آل بيته الأطهار والاقتداء بالسيرة العطرة لصحابته الغر الميامين هو أقصر طريق لتحقيق تلك الغايات النبيلة، وخير وسيلة لبعث أمجاد أمة وصفها الله تعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس، ودون ذلك سيكون الموت الزؤام هو النهاية الحتمية لكل من دبّ الخور في نفسه وأحكم الضعف سيطرته عليه ويومها سيصبح كالرميم.

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نتعامل مع حديث الرسول المصطفى محمد ﷺ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» نصا وروحا على أنه الوصفة السحرية التي يمكننا بها ومن خلالها معالجة الأمراض والعلل التي أصابت الأمتين المتلازمتين العربية والإسلامية بمقتل، بعد أن تمكنّا من تشخيصها ووقفنا على مخاطرها، وتحقيقاً لحاجات الجماهير العربية في الانعتاق والعدالة والتنمية والوحدة، شريطة تطوير القدرات العلمية للإنسان العربي والمؤسسات العلمية العربية، إضافة إلى تفعيل مشروع الشورى السياسية الذي يجب أن يتولى إعداده والمصادقة عليه جهابذة الفقه والشريعة في المؤسسات العربية المختصة ومن الله العلي القدير نستمد العون والتوفيق

وبُغية تفعيل هذا المشروع ارتأينا استثمار صفحات الـ facebook وأنشأنا لهذا الغرض الصفحات التالية:

١- «أسوة حسنة».   ٢- «الحل الأخير» .

٣- «المنبع».   ٤- «المصب» .

الفصل الثاني: الخروج من المأزق

المبحث الأول :هذا هو محمد ﷺ

لقد أتيحت لي فرصة اللقاء بأوساط إسلامية عديدة، لكني فوجئت وللأسف الشديد أن أعدادا كبيرة من هذه الأوساط لا تفقه شيئا عن شخصية الرسول الأعظم محمد ﷺ، مما دعاني لأن أتناول وبشكل موجز سيرة الكريم محمد ﷺ: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن إد بن إدد بن الهميسع بن يشحب بن نبت بن حميل بن قيدار بن إسماعيل. (متفق عليه بين أهل الأنساب).

أ-حمله وولادته:

روي بإسناد صحيح متعدد أن آمنة بنت وهب (أم الرسول) قالت: لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع على الأرض معتمدا على يديه، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء، (وقال بعضهم): وقع جاثيا على ركبتيه رافعا رأسه إلى السماء، وخرج معه نور أضاءت به قصور الشام وأسواقها، حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى (طبقات ابن سعد١/ ١٠٢ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٨٠ ، ٨٤ باختلاف في اللفظ.. السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٢٠٧).

ب-أوصافه:

جاء في كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر الوجه، وكأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ...(صحيح مسلم ٢/ ٣٢٨ – ٣٢٩ ، صحيح البخاري ٣/ ١٣٠٦ في ٣٣٦٨.. سنن الدارمي ١/ ٣١ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٢٥٥) ويحدثنا التاريخ أن أول من لقي الرسول محمدًا ﷺ في المدينة حبر اليهود عبد الله بن سلام وقد قال في الرسول المصطفى ﷺ أول ما رآه: هذا وجه نبي.

ج-أسماؤه:

وللرسول الكريم ﷺ أسماء عديدة في تفسير قوله : ﴿مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف٦]، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لي أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.. (صحيح بخاري.. المعجم الكبير للطبراني .. دلائل النبوة لأبي القيم ثم للبيهقي.. تفسير ابن كثير) وزاد عليه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:– سمعت رسول الله ﷺ يقول: ونبي الرحمة ونبي التوبة والحاشر والمقفي ونبي الملاحم.. (مسند أحمد .. مجمع الزوائد.. دلائل النبوة للبيهقي).

د-نعته:

سأل رجل من الأنصار عليا عليه السلام عن نعت رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله أبيض اللون مشربا حمرة أدعج العين سبط الشعر، كث اللحية سهل الخد ذا وفرة دقيق المسربة كأن عنقه إبريق فضة، له شعر من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شأن الكف والقدم إذا مشى كأنما ينحدر من صبب وإذا قام كأنما ينقلع من صخر وإذا التفت التفت جميعا، كان عرقه في وجهه اللؤلؤ ولريح عرقه أطيب من المسك الأدقر ، ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بالعاجز ولا اللئيم، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ ....(طبقات ابن سعد مسند أحمد .. مجمع الزوائد دلائل النبوة للبيهقي).

هـ-صفته في الكتب السماوية:

أما صفته في التوراة والإنجيل .. عن عطاء بن يسار قال:- لقيت عبد الله بن عمر بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفة القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥] وحرزا للأميين وأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، قال يونس: ولا صخاب بالأسواق .. ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذنا صما وقلوبا غلفا (رواه البخاري)

قال عطاء: لقيت كعبا فسألته: فما اختلفا في حرف إلا كعب يقول بلغته (أعينا عمومي) وأذانا صموما وقلوبا غلوفا (قال يونس غلفى).. (مسند أحمد ٢/ ٣٦٥ ح ٦٥٨٥ طبقات ابن سعد ١/ ٣٦٢ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٧٤ السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٢٧).

وعن سهل مولى عتبة : أنه كان نصرانيا من أهل مريس وأنه كان يتيما في حجر أمه وعمه، وأنه كان يقرا الإنجيل قال:- فأخذت مصحفا لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقه فأنكرت كتابتها حين مرت بي، ومسستها بيدي قال فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء قال ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد ﷺ أنه لا قصير ولا طويل أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير يحتلب الشاة ويلبس قميصا مرقوعا ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر، وهو يفعل ذلك وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد قال سهل : فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد ﷺ جاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال : مالك وفتح هذه الورقة وقرأتها وقلت: فيها نعت النبي ﷺ أحمد فقال: إنه لم يأت بعد.. (راجع أيضا حلقة الأولياء ٥/ ٣٨٦ ، السيرة النبوية لأبن هشام ١/ ٢٤٨ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٧٣ – ٣٨٣ طبقات ابن سعد ١/ ٣٦٣).

سأل يهودي كان بمكة أهلها: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه ، قال: أخطأت والله حيث كنت أكره ، انظروا يا معشر قريش واحفظوا ما أقول لكم : ولد الليلة نبي هذه الأمة أحمد الآخر فإن أخطأكم فبفلسطين به شامة بين كتفيه سوداء صفراء فيه شعرات متواترات، فتصدع القوم في مجلسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا في منازلهم ذكروا لأهاليهم فقيل لبعض ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام فسماه محمد، فجاء اليهودي وأخبروه وذهب معهم إلى آمنة بنت وهب فأخرجته لهم فرأى الشامة في ظهره فغشي على اليهودي ثم أفاق فقالوا ويلك مالك قال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم وهذا مكتوب يقتلهم ويبز أخبارهم، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها في المشرق إلى المغرب... (المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٠١ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٢٦ السيرة النبوية لأبن كثير ١/ ٢٩٤ دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٨٠ كنز العمال ٦/ ٣٠١ الإصابة ١/ القسم ٣/ ١٨١ مجمع الروائد ٨/ ٢٣١، ٢٣٢).

و-معجزات الرسول ﷺ:

وللرسول محمد ﷺ معجزات كثيرة لسنا بحاجة إلى ذكرها منها: انشقاق القمر ، تكثير الطعام وتكليمه للشجر والحجر واستسقاؤه ثم استجابة دعواته ورؤيته من وراء ظهره وفي الظلة وإطعام الله تعالى وسقيه له وحنين الجذع له عند فراقه بعد الدعوة

كما أنه ﷺ خص بدلائل النبوة قبل البعثة منها ما ذكره الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ولكي يقف القارئ الكريم على مكارم أخلاق هذا النبي الذي قد لا نغالي إذا ما قلنا إنه ﷺ قد جمع بين الحكمة والقوة والسيادة وهي خصائص جده لأبيه عبد مناف مثلما أخذ عن جده لأمه (زهره) هذه الرقة واللطف وقد حدثتنا كتب التاريخ أنهما كانا حليفين وقد اشتركا في بناء جزء من الكعبة سوية لذلك ترى الرسول ﷺ على ما فيه من صرامة في الحق يقول: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها يبكي لبكاء الطفل ويخفف صلاته لو سمع بكاءه، ولم تكن للرسول الكريم ﷺ عقدة أسرية لذلك فهو رجل أسره صالح وكان يحب أسرته حبا جما:

فما يستوي وحي من الله أنزله   وقافلة في العالمين شرود

ومما جاء في أحاديث النبي ﷺ:

١-في باب العلم: قال ﷺ : «**اللهم إني أسألك علما نافعا**».. «**منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا**» «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة** » « **الخيانة في العلم أشد من الخيانة في المال**» «**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه** »..

وعلى مستوى الوقائع:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يطلب علما، فقال له الرسول الكريم ﷺ :« **إن الملائكة تضع أجنحتها لك**»..وفي معركة بدر الكبرى أمر المسلمون سبعين من المشركين فأشار عليهم الرسول المصطفى ﷺ أن يعلم كل واحد منهم عشرة مسلمين القراءة والكتابة فيطلق سراحهم، وكان من بين من تعلم على أيديهم زيد بن ثابت ﷺ (الذي جمع القرآن فيما بعد) وهو الذي تعلم اليهودية (لغة) عملا بما أشار عليه رسول الله ﷺ في ثمانية عشر يوما .

٢-في الأحوال الشخصية: قال ﷺ: « **استوصوا بالنساء خيرا**» «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج** » « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه** » « **تنكح المرأة لمالها ولجمالها ولنسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»، « **أكثرهن بركة أقلهن مهوراً**» ، «**أعلنوا النكاح**» «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**».

وعلى مستوى الوقائع:

يعد النبي محمد ﷺ أول من كتب وثيقة لحقوق المرأة .. وحدث أن جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وسأله في شابين طلبا الزواج من ابنته أحدهما معسر. والآخر ميسور فسأله الرسول ﷺ: فهواها مع من ؟ قال:- مع المعسر، فقال صلوات الله وسلامه عليه: لا أرى للمتحابين إلا النكاح..

وفي موقف آخر سأل الرسول ﷺ شابا ليس له ما يدفعه لمن يريد الزواج بها: هل تحفظ شيئا من القرآن ؟ قال: بلى أحفظ سورة البقرة فقال: له الرسول الكريم ﷺ : اذهب فقد زوجتك إياها بما تعلمه لها من القرآن.

كان الرسول محمد ﷺ يكني زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (عائش) .. وكان يشرب الماء من موضع فمها على الإناء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أول حب في الإسلام حب رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها(وهنا يعلق أحدهم فيقول): إن أنس كان صغيرا فلم يرى حب الرسول ﷺ لخديجة عليها السلام ، وعن عائشة رضوان الله عليها أنها سألت رسول الله ﷺ كيف حبك لي ؟ قال ﷺ : كالعقدة في الحبل .. تقول : ثم سألته بعد حين .. كيف حال العقدة ؟ فيقول ﷺ: هي على حالها .

وتوثيقا لما أوردناه تقول(روز ماري هاو): لقد كرم الإسلام المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة وامرأة ، أما المرأة الغربية فلا تستطيع أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة(المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي)

٣-في الأمور العامة: دخل رجل على رسول الله فأخذته هيبته فقال له رسول الله ﷺ : هون عليك فإنني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد..

ومن بين ما قاله ﷺ (ما منع قوم الزكاة إلى منعوا القطر من السماء) (من سره أن يبسط الله في رزقه فليصل رحمه) (انصر أخاك ظالما أو مظلوما.. نصرته مظلوما فكيف إذا كان ظالما؟ تمنعه من ظلمه) (إماطة الأذى عن الطريق صدقة) (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) (احفظ الله يحفظك) وقال ﷺ: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) (البر حسن الخلق) (لا تدخل الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) (تبسمك في وجه أخيك صدقة) (اتقوا النار ولو بشق تمرة) (الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة بالحسنة وخالق الناس بخلق حسن) ، كما قال الرسول الكريم ﷺ أيضا: (من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته) ..(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) (إذا قامت الساعة وكان في يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها)..(من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره)...(من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه) (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (إن الله كتب الإحسان على كل شيء).

***

وواقعيا:

١- قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: إن فلانة تنام كثيرا، فقال لها الرسول ﷺ: لقد جئت كلاما لو ألقيته البحر للوثه.

٢- حدث أن احتسى أحد الصحابة الخمر فأقيم عليه الحد وكان الناس يمرون به، هذا يعنفه وذاك يشتمه، فنهاهم الرسول ﷺ قائلا: لا تكونوا مع الشيطان على أخيكم إنه رجل يحب الله ورسوله، فلما سمع الصحابي كلام رسول الله ﷺ أقسم بالله ألا يرجع بعدها أبدا.

٣-جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله جئت كبيرة وأريد أن أتوب وأريد أن أدخل الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: ألك أم ؟ فقال الرجل: لا ماتت، فقال: له النبي ﷺ ألك خالة؟ قال: نعم فقال النبي ﷺ: برها تدخل الجنة .

٤- قال الرسول محمد ﷺ : لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.

٥- قال خارجة بن يزيد: كان الرسول أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان يعرض عمن من يتكلم بكلام غير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا (لا فضول ولا تقصير) وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداءً به، فمجلسه مجلس حلم وحياء وخير و أمانة، ولا ترفع فيه الأصوات، وإذا تكلم أطرق أصحابه كأن على رؤوسهم الطير.

٦-قال المسلمون للرسول الكريم ﷺ إنَّ دوسا قد آذتنا (ويعنون قبيلة دوس العربية): ادعُ عليهم يا رسول الله فسكت الرسول محمد ﷺ وظن الناس أن الرسول سيدعو عليهم فرفع يديه وقال: اللهم اهد دوسا، فاستجاب الله دعاءه فأسلمت قبيلة دوس كلها.

٧-أجارت أم هاني رجلا غير مسلم فقال الرسول ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هاني.

٨-رأى الرسول ﷺ المسلمين وقد استشاطوا غضبا لما رؤوا أعرابيا يتبول في المسجد لكن الرسول الكريم ﷺ هدأ من روعهم ودعاهم إلى التيسير فربما لم يعرف ذلك الأعرابي طهارة المكان.

٩- جاء جبرائيل عليه السلام إلى الرسول ﷺ وقال له: لقد سمع ربك قول قومك لك (وكان يشير في هذا إلى أذى أهل الطائف له) فأوحي إلى الجبل (أي أمره) فإن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت ، فرد عليه الرسول ﷺ قائلا: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله عز وجل.

١٠-بعد ما لقي الرسول الكريم ﷺ ما لقي من المشركين في معركة أحد جاءه من يرجوه بأن يدعو عليهم ويلعنهم فقال الرسول الكريم ﷺ : أنا ما بعثت لعانا.

ولقد خص الرسول الكريم ﷺ حتى الحيوانات وعلى اختلاف أنواعها بموجبات اللطف بها ورعايتها فقد قال ﷺ: اتقوا الله في البهائم المعجمة (الحيوانات)، كما أنه ﷺ قد أوصى المسلمين بضرورة العناية بصحتها : (كلوها صالحة واركبوها صالحة) وقد ذكر عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث له: إن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش (هوام) الأرض حتى ماتت هزلا (رواه مسلم والبخاري) وحدث أن رأى ﷺ حمارا قد وسم في وجهه فقال : (لعن الله الذي وسمه) وفي هذا منتهى التوقير حتى لأكثر الحيوانات امتهانا من بني البشر (الحمار).. (أخرجه مسلم)... ولنا هنا أن نورد تحذير أحد المسلمين من ضرب دجاجة قائلا لهم: لعن رسول الله من فعل هذا... ولنا أن نذكر أن حُمّرة كانت تبحث عن أفراخها فقال الرسول الكريم ﷺ للمسلمين الذين كانوا ينظرون المشهد : من فجع هذه بأفراخها ، ردوا أفراخها إليها.

وسنورد الآن بعضا مما قيل في رسول الله ﷺ ومما كشف عن ملامح شخصية وأخلاق الصادق الأمين محمد ﷺ بما قاله أكثر الناس عداوة لرسول الله:

١- قال عمر بن هشام (أبو جهل) لرسول الله ﷺ: إننا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به.

٢- أما أبو سفيان (وقبل أن يعلن إسلامه) فقد شهد أمام هرقل عظيم الروم بدماثة خلق الرسول ﷺ في معرض إجابته عن العديد من الأسئلة التي وجهها لأبي سفيان.. كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب ، ثم سأله هل كنتم تتهمونه بالكذب (وقبل أن يقول ما قال) قال أبو سفيان : لا ، هل غدر؟ سأله هرقل قال أبو سفيان : لا .

وعندما تيقن هرقل أنَّ محمدًا ﷺ هو النبي الذي وعد الناس به كما جاء في أخبار أحبارهم أكرم وفادة مبعوث النبي الأمين ﷺ كذلك فعل المقوقس في مصر. والذي زاد على ذلك بأن أرسل الهدايا إلى الرسول الكريم محمد ﷺ مع من جاءه من عنده وكانت ماريا القبطية عليها السلام من بين تلك الهدايا، (صحيح بخاري ١/ ٧٩٧ ص ٢٨ صحيح مسلم ٤/ ٤٣ ح ٧٤ من كتاب الجهاد والسير).

٣-أما نجاشي الحبشة فقد قال بعد أخذ ورد ولئى ولؤي مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة ومن جاء من المشركين ليخذلهم (وبعد أن رفع عودا من الأرض): يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوي هذا، مرحبا بكم ومن جئتم من عنده (وخطابه موجه للمسلمين) أشهد أنه رسول الله فإنه الذي نجد في الإنجيل

وإنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم عليهما السلام انزلوا حيث شئتم والله لو لا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه (مسند أحمد ٢/ ٤٨ ح ٤٣٨٦ دلائل النبوة للبيهقي، ٢/ ٢٩٨ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٥٦ السيرة النبوية لابن كثير ٥/ ٩ -١١).

٤- ذهب رأس اليهود حيي بن الأخطب إلى رسول الله ﷺ في أول دعوة ليتيقن من إمارة نبوءته وليتأكد إن كان هو النبي الذي وردت مواصفاته في أخبار أحبارهم أم لا؟ فلما عاد منه باليقين لقيه أخوه (ياسر) فسأله أهو هو؟ فقال حيي : هو هو، ثم سأله أخوه: وماذا ستفعل معه قال : عداوته ما حييت

٥- بعد أن فشل المشركون في إغراء الرسول بالملك والمال والسيادة لثنيه عن مواصلة الدعوة أخذ الرسول ﷺ يقرأ سورة فصلت حتى إذا ما وصل إلى قوله تعالى:(وإن أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) الآية ١٢، حاولوا إغلاق فمه وقالوا له: نناشدك الله أن تسكت.

٦-قال يهودي حين سمع قوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة٣]: والله لو نزلت علينا هذه الآية لاتخذناها عيدا، فرد عليه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قد اتخذناها عيدا نزلت علينا يوم عرفة ويوم جمعة.

لقد انبرى العديد من المنصفين من أبناء الحضارة الغربية للدفاع عن الدين الحنيف (نبيا وكتابا) ليس بوصفه رسالة إنسانية وبوصف النبي الكريم ﷺ المنقذ المأمول:

١- جورج برنارد شو (وهو كاتب وناقد إيرلندي ساخر) : لقد درست محمدا باعتباره رجلا مدهشا ، فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوروبا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد وربما ذهبت لأبعد من ذلك فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل المشكلات فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي ، الإسلام دين خالد وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والعدل والتعاون إنه دين المستقبل..

٢- أما غوته(شاعر ألمانيا الأول) فيقول: إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ... بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي العربي محمد .. للحق أقول إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكن المسلم يتسامح من اعتزازه بدينه وتمسكه بعقيدته .. إذا كان الإسلام يعني الاستسلام لله فكلنا نحيا ونموت على الإسلام .

٣- أنتوني كوين(ممثل عالمي معروف): أحسست أن الإسلام قوة غير عادية بعد أن درست حياة عمر المختار، فلقد قال المختار قبل إعدامه: لئن كسر المدفع سيفي فلن يكسر الباطل حقي.

٤- ليوتو لستوي (أديب روسي ذائع الصيت): يكفينا فخرا أن محمدا قد أهدى أمة إلى نور الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وفتح لها طريق الرقي للمدنية ، سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة، لقد فهمت لقد أدركت كل ما تحتاج إليها البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق وتزهق الباطل، ستعم الشريعة الإسلامية كل البسيطة لائتلافها مع العقل وامتزاجها بالحكمة والعدل ، أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد الأحد لتكون آخر الرسالات على يديه وليكن هو أيضا آخر الأنبياء .

٥- لامارتين (شاعر فرنسا الشهير): من ذا الذي يجرأ من الناحية البشرية على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد ؟ من هو الرجل الذي ظهر أعظم منه عند النظر إلى جميع المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان؟ أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية أدركت ما فيها من عظمة وخلود، أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ ؟ لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق .

٦- قال توماس كارليل (صاحب كتاب الأبطال- والذي يكنى بالفيلسوف الأكبر): إن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير منذ اثني عشر قرنا وما الرسالة التي حملها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول، إن محمدًا قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع .

٧- عالم اللاهوت السويسري المعاصر د. هانس كونج يقول : محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة ولا يمكننا إنكار أن محمدا هو المرشد القائد على طريق النجاة .

٨- يقول الفيلسوف الألماني نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زرداشت): يا للمهابة تليق بنذير يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق.

٩- رئيس وزراء ألمانيا الأسبق وبطل وحدتها بسمارك يقول: يا محمد أنا متأثر جدا إذ لم أكن معاصرا لك، إن البشرية رأت قدوة ممتازة مثلك مرة واحدة وأنا أعظمك بكمال الاحترام.

١٠- المؤرخ كريستوفر دارسن في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم) يقول: إن الأوضاع العالمية تغيرت تغيرا مفاجئا بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد.

١١- وإن هناك المئات من الشهادات التي أدلى عدد غير قليل ممن أسلموا والتي تصب في ذات الغرض خاصة تلك التي نطق بها المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي والفرنسي- روجيه غارودي وأميرة سرواك ديانك مود الذين جاهروا باعتناق الإسلام وقالوا فيه وفي نبيه ﷺ أكثر مما قاله (توينبي): الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية العطرة يجدون أمامهم من الأسفار مما لا يتوفر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام إنني أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامي وعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم وإن في بقاء الإسلام أملا للعالم كافة .

ز-خصائصه الخاصة:

١ – عن السيدة عائشة رضوان الله عليها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه من ليف (صحيح البخاري ٥/ ٢٣٧٢ سنن الترمذي ٤/ ٢٠٨ سنن أبي داود ٤/ ٧١ مسند أحمد ٧/ ١٠٠٨).

وعنها أيضا وفي معرض إجابتها عن سؤال (ماذا كان يصنع رسول الله؟) قالت: كان يخصف نعله ويرقع ثوبه .. (مسند أحمد ٧/ ١٥٣ دلائل البيهقي ١/ ٣٢٨)، وعن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها أيضا أنها قالت : لم يخير رسول الله ﷺ في أمرين ألا آخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه . وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .. (صحيح بخاري ٣/ ١٣٠٦، دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣١٠ ، دلائل النبوة لابن نعيم ص ١٤٠).

٢- وعن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا، (مسند أحمد ١/ ١٣٨ السيرة النبوية لابن سيد الناس ٢/ ٤٢٢) ، وعنه عليه السلام أيضا: كان النبي ﷺ إذا سأل شيئا أراد أن يفعله قال: نعم وإذا أراد ألا يفعل سكت فكان لا يقول لشيء لا ، (مجمع الزوائد ٩/ ١٣).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا، وأهله لا يجدون عشاء أو كان أكثر خبزهم خبز شعير ، (سنن الترمذي ٤/ ٥٠١ السيرة النبوية لابن سيد الناس ٢/ ٤٢٨).

٤- وقد جاء في كتاب البيوع (باب شراء النبي بالنسيئة)عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير أهالة سنخة ولقد رهن النبي ﷺ درعا بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لأهله، وعن أنس رضي الله عنه أيضا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أمسى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع شعير، (صحيح البخاري سنن الترمذي ٣/ ٥١٩ مسند أحمد ٣/ ٥٩١) كذلك جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه (والذي وقف على حاجيات الرسول لعقد من الزمن) قوله: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ، (صحيح مسلم ٤/ ٤٨٦، دلائل النبوة للبيهقي مسند أحمد ٣/ ٥٥٤)

وعنه ﷺ قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت؟ (صحيح البخاري ٥/ ٢٢٤٥ سنن الدارمي ١/ ٣١ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣١٢ كذلك ورد في سنن الترمذي ٤/ ٥٦٤ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٢٠ دلائل النبوة لابن نعيم ص ١٤٠) وعن أنس أبن مالك رضي الله عنه أيضا قال: كان النبي إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له. (رواه الترمذي وأبو داود)

٥- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان النبي أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرف في وجهه، (صحيح مسلم ٤/ ٤٨٨ صحيح البخاري ٣/ ١٣٠٦ دلائل النبوة للبيهقي) ، وعنه أيضا إنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء ما اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة. (المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٥٨ سنن الترمذي ٤/ ٤٩٩ سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٨١ كشف الخفاء للعجلوني ١/ ١٨١ مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٢).

٦- وعن أبي أمامة ﷺ قال : خرج علينا رسول الله متوكئا على عصا فقمنا إليه فقال ﷺ : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا .. (سنن أبي داوود ٤/ ٣٥٨ مسند أحمد ٦/ ٣٣٧ مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٠).

٧- وعن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت النبي ﷺ بيعاً قبل أن يبعث فوعدته أن أتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي هذا والغد وأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال له: يا فتى شققت علي، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك، (أسد الغابة ٣/ ٢١٧ سنن أبي داود ٤/ ٢٩٩ سنن البهيقي ١٠/ ١٨٩ كنز العمال ٣/ ٣٤٩).

٨- وعن سعد بن هشام ﷺ : سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أخبريني عن خلق الرسول ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن.. (مسند أحمد ٧/ ٢٣٤ دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٠٩ دلائل النبوة لابن نعيم ص ١٣٩).

٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ (سنن الترمذي ٤/ ١٨٦ الدر المنثور٢/ ١٥٩)، وعنه أيضا إنه قال: ما عاب النبي ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

١٠ قال المغيرة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترمَ قدماه أو ساقاه فيقال له ، فيقول: أفلا أكون عبداً شكورا. (مسند أحمد ١/ ٦٣٦ صحيح البخاري ١/ ١/ ٣٨ صحيح مسلم ٢/ ٢٠٦) .

ق-زواجه:

تزوج الرسول الكريم محمد ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاما، وبقيت في حماه حتى ماتت وكان عمره ﷺ خمسين سنة، وبقي بعد وفاتها بسنتين لم يتزوج حزنا عليها، ولم يكن له خلال خمس وعشرين سنة قضاها معها زوجة سواها وهذا ما يدفع عنه ﷺ تهمة زواجه لشهوة فيه ومما يؤكد ذلك أنه وبعد أن أصبح عمره اثنتين وخمسين سنة تزوج إحدى عشر امرأة على مدى تسع سنوات لغايات نبيلة، ومقاصد سامية ليس لأحد سواه أن يتبناها فزواج محمد الرجل لا يشبه زواج محمد النبي .

وتتلخص أسباب تعدد زوجات الرسول ﷺ بما يلي:

١- لكي ترث الأمة الدين وتنقله، وقد تأكد ذلك من مساهمة زوجات الرسول ﷺ في نشر الإسلام من خلال نقل الصحيح من أحاديث الرسول المصطفى محمد ﷺ وهذا ما فعلته أمهات المؤمنين حفصة وعائشة وزينب بنت جحش رضوان الله عليهن.

٢- تقوية دعائم الإسلام ويتوضح ذلك من خلال مصاهرة الرسول الكريم ﷺ للخلفاء الراشدين الذين نهضوا بحمل الأمانة بعد نبيهم الهادي ﷺ .

٣- إيجاد تشريع جديد يحمي خلاله الرسول الكريم ﷺ زوجات الشهداء (الأرامل) تكريما لهم ولهن، رغم أن بعضهن تجاوز السبعين سنة، فلو لم يتصرف الرسول كذلك ما كان للأرامل أن يتزوجن (وتلك سنة جديدة فيها توقير للمرأة) ثم أن زواجه ﷺ من بعضهن كان سببا مباشرا لإسلام القبائل التي كن ينتمين لها.

وبعد هذا العرض السريع لأهم ملامح أشرف الأنبياء والمرسلين رسولنا الكريم محمد ﷺ يوجز الشاعر العربي كل الحديث عن الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله :

محمد سيد الدنيا ورحمتها

من لفحة الكفر أنت الفيء والظلُ

أنت اليتيم الذي يمضي بكلمته

يقيم صرحا لها في البيد كي يعلو

دين كريم وأخلاق أنت لها

حضارة لم تكن في الكون من قبلُ

المبحث الثاني : وهؤلاء هم أصحاب محمد ﷺ وأتباعه

قال رسول ﷺ : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) وتلك دعوة إلى الخلف السئ لأن يتجاوز أخطاء درج عليها، ويصوب سلوكه بتبني معطيات السلف الصالح في أوليات الدعوة الإسلامية فلا حياد بين الخير والشر، ولا سبيل لمرضاة الله بالاتكاء على العبادات التي فرضها الله تعالى، والأعراض عن المعاملات الحسنة والعكس صحيح، فالإسلام وحدة واحدة وليس لأحد تجزئته... فعلينا بالعودة إلى الله تعالى نصا وروحا قبل أن يقع الطوفان.

ولقد وجدنا أنفسنا ملزمين بعرض قليل من مناقب المسلمين الأوائل رجالا ونساءً ومن مختلف الأصول والمنابت، لسببين أولهما: إننا نريد أن نضع أبناء هذه الأمة الإسلامية في الصورة البهية التي كان عليها المسلمون الأوائل ليقتدوا بها ويسيروا على هدى طريق سلكوه أصحاب وأتباع محمد ﷺ. وثانيهما رغبتنا في أن نعرض الإسلام الصحيح متمثلا في السلوك الإنساني الذي انتهجه السلف الصالح عرضا مجردا من كل غلو ليراه الآخرون بالعين المجردة التي كان يجب أن يراه بها الناس من غير المسلمين قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من قال ها أنذا　　　ليس الفتى من قال كان أبي

وهو القائل(عليه السلام) : (اعمل لدنياك كأنك تعش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)

وهو القائل أيضا: البخل عار والجبن منقصة، والفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جُنة أي(وقاية).

١- قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أربع من كن فيه كان خير عباد الله، من فرح للتائب واستغفر للمذنب ودعا المدبر وأعان المحسن.

٢- قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : مكارم الأخلاق عشر : صدق الحديث وصدق اللسان وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمم (العهد والذمة) للجار وللصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء.

٣- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك ...أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

٤- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين عمر يدنيك ويقربك ، فاحفظ عني ثلاثا : إياك أن يجد عليك كذبا وإياك أن تفشي له سرا، وإياك أن تغتاب عنده أحد... وروي عنه أنه نعي إليه أخوه وهو في سفر فاسترجع أي قال (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم صلى ركعتين وقال: فعلنا كما أمر الله إذا يقول : (واستعينوا بالصبر والصلاة) البقرة ٤٥ ...ومما قاله أيضا : لا تمار حكيما ولا سفيها فإن الحكيم يقليك (أي يبغضك)، والسفيه يؤذيك وأذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك اعفه مما تحب أن يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجاز بالإحسان مأخوذ بالاحترام.

٥- قال رجل للحسن بن علي عليه السلام: إن لي بنتا وإنها تخطب كثيرا فلمن أزوجها؟ فقال له الحسن عليه السلام : زوجها لمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.

٦- وقيل لزين العابدين (علي بن الحسين) عليهما السلام: إنك من أبر الناس بأمك فلماذا لا تأكل معها في صفحة واحدة ؟ قال : إني أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة سبقت إليها عيناها فأكون قد عققتها.

٧- قيل للحسن البصري عليه السلام : إن فلانا اغتابك ... فأهدى إليه البصري طبقا من تمر فأتاه الرجل وقال له : اغتبتك فأهديت إلي فقال البصري : أهديت إلي حسناتك فأردت أن أكافأك.

٨- تعرض عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى السرقة فتضرع إلى الله قائلا: اللهم إن كان هذا الذي سرقني محتاجا فبارك له بما سرق، وإن لم يكن له حاجة بما سرق فاجعلها آخر خطيئة له.

٩- قال رجل لبكر بن عبد الله: علمني التواضع ، فقال: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير مني وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل سبقته إلى الذنوب والعمل السيئ فأنا أسوء منه.

١٠- قال عبد الله السجزي :- علامات الأولياء ثلاثة : تواضع عن رفعة وزهد في قدرة وإنصاف عن قوة.

١١- قال الفضيل بن عياض: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق.

١٢- قال يحيى بن معاذ: من أكثر ذكر الموت لم يمت قبل أجله، بل يدخل عليه ثلاث خصال من الخير، المبادرة إلى التوبة والقناعة بالرزق والنشاط في العبادة

١٣- قال بعض الصالحين: وضع الله سبحانه وتعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع:- العز في الطاعة والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي والقناعة في الغنى.

١٤- قال السري السقطي: أنا منذ ثلاثين سنة في الاستغفار من قولي: الحمد لله مرة ، قيل له وكيف ذلك؟ قال : وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل فقال لي نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فمنذ ثلاثين سنة وأنا نادم على ماقلت، إذ أردت لنفسي خيرا مما حصل للمسلمين.

١٥- شوهد أحد الصالحين بمكان وهو يتصبب عرقا في عز الشتاء حياءً وخجلا فقيل له في ذلك فقال : إنه مكان عصيت الله فيه، كشطت من هذا الجدار قطعة طين، غسل بها ضيف لي يده ولم أستحل صاحبه .

١٦- لقي رجل من أهل منبج رجلًا من أهل المدينة فقال : ممن الرجل ؟ فقال: من أهل المدينة فقال: لقد أتانا رجل منكم يقال له الحكم بن عبد المطلب فأغنانا فقال المدني: وكيف أغناكم وهو فقير، وما أتاكم إلا في جبة من الصوف؟ فقال: ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا .

١٧- قيل لأحد الصالحين: سرق اللص منزلك ؟ فقال : الحمد الله أنه لم يسرق التوحيد من قلبي .

١٨- قالت العرب: أربع من خصال الجاهل، من غضب على من لا يرضيه، وجلس إلى من لا يدنيه، وتفاقر إلى من لا يغنيه، وتكلم بما لا يعنيه .

١٩- كان أبو الدرداء ﷺ يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير التي بين أيديهم (يلعبون بها) فيرسلها ويقول : اذهبي فعيشي .

٢٠- قال المغيرة بن شعبة : على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق، ومن اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله، والغني من استغنى عمن هو مثله .

٢١- أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي معرضة عنه لا تكلمه ولا تنظر إليه، فقال لها رجل من الشرطة:- الأمير يكلمك وأنت معرضة عنه؟ فقالت : لأستحي من الله أن أنظر إلى رجل لا ينظر الله إليه .

٢٢- وقال حكيم : لكل مجد مكافأة فمن جد في بذل المعروف كوفئ بثناء الناس عليه، ومن جد في معالي الأمور كوفئ بالخلود، ومن جد في خدمة الناس كوفئ بالزعامة، ومن جد في رضا الله عز وجل كوفئ بذلك كله بالدنيا وتزداد له في الآخرة .

٢٣- وقال أبن هشام:

مـن يصـطبر للعـلم يظفـر بنـيله

ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومـن لم يـذل الـنفس في طلـب العـلا

يسـيـرا يعش دهـرا طـويلا أخـا ذل

٢٤- قـال حكـيم: يصـل إلى الحاسـد خمـس عقوبـات قبـل حسـده إلى المخلوق، أولها غم لا ينقطع، وثانيهما مصيبة لا يؤجر عليهـا، وثالثـة مذمـة لا يحمد عليها، والرابعة سخط الرب، والخامسة يغلق عنه باب التوفيق.

٢٥- لحـق الأحنـف بـن قـيس (سـيد تمـيم ومثـل العـرب في الحلـم) رجل وأخذ يسبه وهو يماشيه فلما قرب الأحنف من منزله قال للرجل : يا هذا إن كان بقي عندك شيء فهات وقله هنـا فـإني أخـاف أن يسـمعك فتيان الحي فيؤذوك، ونحن لا نحب الانتصار لأنفسنا، ... ومـا دمنـا في صدر الحديث عن الأحنف بن قيس فلنا أن نورد شيئا ممـا قالـه :مـن كانـت فيه أربع خصال ساد قومه غير مـدافع، مـن كـان لـه ديـن يحجـزه، وحسـب يصونه، وعقل يرشده، وحياء يمنعه... وحدث أن قال رجل للأحنـف بـن قيس: أخبرني الثقة عنك بسوء ، فقال الأحنف:الثقة لا ينم .

٢٦- كان معاوية بن أبي سفيان يسأل الأمام علي بـن أبي طالـب كـرم الله وجهه، ويرسل إليه في المشكلات فيجيبه، وذات يوم قال رجل لعلي ابن أبي طالب عليه السلام : لم تجب خصما؟ فقال: أما يكفينا أنـه احتـاج إلينا وسألنا؟.

٢٧- رفض رجل مسلم أن يطلق زوجته بسبب سوء خلقها خشية أن تقع في حمى غيره فتؤذيه.

٢٨- احتاج جار أمير الكرخ أبي دلف أن يبيع داره فساوموه عليها فطلب ألفي دينار، وكانت الدار لا تساوي إلا ألف دينار فقيل له : هي لا تساوي غير ألف دينار فلم تساومنا على ألفي دينار؟ فقال الرجل : هي بألف وجوار أبي دلف بألف، فسمع أبو دلف بذلك وأرسل إليه بألف دينار وقال له : لا تبع دارك ولا تنتقل من جوارنا.

٢٩- قال الشاعر عروة بن أذينة:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي

أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيعييني تطلبه

ولو قعدت أتاني لا يعنيني

(فقيه محدث من أهل المدينة المنورة غلب عليه الشعر توفى سنة ١٣٠هـ).

٣٠- انصرف الإمام الحسين رضوان الله عليه عن أخيه لأبيه محمد بن الحنفية وهما على غير وفاق فلما وصل ابن الحنفية إلى بيته أخذ ورقة كتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب أما بعد .. فإن لك شرفًا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، فإذا قرأت ورقتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إلى وترضني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام ... فلما قرأ الحسين الرقعة جاء إلى أخيه محمد ابن الحنفية وترضاه (ثمرات الأوراق) .

٣١- في مسابقة لركوب الخيل فاز أحد أقباط مصر على ابن عمرو ابن العاص (والي مصر) مما أغاظه فضربه وهو يقول له : أنا أبن الأكرمين .. فنصح الناس القبطي بأن يشتكي إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففعل .. فغضب الخليفة مما بلغه واستدعى عمرو ابن العاص وولده إلى المدينة بينما الشاب القبطي عنده معززا مكرما، وعندما حضر الجميع لديه أعطى الخليفة صوطًا إلى القبطي وقال له اضرب أب الأكرمين (ويقصد الوالي عمرو بن العاص) فقال له القبطي : إنما ضربني ابنه، فقال له الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما ضربك بسلطان أبيه، وقال بعدها كلمته المأثورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا...؟

٣٢- جاء رجل من الشام إلى مدائن العراق، وبينما هو في أحد شوارعها إذ طلب العون من رجل كان قد التقاه على قارعة الطريق في حمل ما معه من التبن، فأغاثه ذلك الرجل وأنجز له ما أراد وقد فوجئ الرجل الشامي أن من كان قد أعانه هو أمير المدائن الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) الذي كان الرسول الكريم قد شرفه بأن قال: سماه (سلمان المحمدي منا آل البيت) رضوان الله عليه .

٣٣-كتب أحد الولاة للخليفة عمر بن العزيز ﷺ يستأذنه ببناء سورٍ للمدينة التي هو والٍ عليها فقال له عمر بن عبد العزيز ﷺ: سورها بالعدل ... وكتب لوالٍ آخر : إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.

٣٤- قال حكيم مسلم : لا تحقرن أحدا مهما هان، فقد يضعه الزمان موضع من يرتجى وصاله ويخشى فعاله .

٣٥- رأى إبراهيم بن الأدهم رجلا مهموما فقال له: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله لك ؟ قال الرجل: لا، قال إبراهيم:أينقص من رزقك شيء قدره الله؟ قال: لا، قال إبراهيم:أينقص من أجلك لحظة كتبها الله في عمرك ؟ قال : لا، قال: فعلام الهم إذن ؟

٣٦-قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه، ومن وعظه علانية فقد فضحه... ومن جيد أشعاره :

عيب على الإنسان ينسى عيوبه

ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره

وفيه عيوب لو رءآها بها اكتفى

٣٧-قالت كلثوم بنت عمر بن صالح النابلسية :

احفظ لسانك واستعذ من شره

إن اللسان هو العدوا الكاشح

وزن الكلام إذا نطقت بمجلس

وزنا يلوح لك الضياء اللائح

٣٨-وقال حكيم : من أعجب بعقله ضل ومن استغنى برأيه ذل وقال آخر: تسامح في حق نفسك وتشدد في حق أمتك تكن عند الله عبدا كريما، وفي المجتمع مواطنا مستقيما ... وفي الإسراف والبخل قال حكيم : لا تصاحب المسرف فيتلف لك مالك ولا تصاحب البخيل فيتلف عليك مروءتك،وقال حكيم آخر: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب ولا يعرف الأخ إلا عند الحاجة .

ملاحق الفصل الثاني

تتصل مفردات هذه الملاحق بالمفاصل المهمة التي أتينا عليها في الفصل الأول من هذه الدراسة، والتي سنتوسع في شرحها على الشكل الآتي:

١- الملحق الأول:

قال الله تعالى في الآيتين ١٦، ١٧ في سورة الأعلى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦، ١٧] وقال عز وجل في الآية ٦٠ من سورة القصص: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾: وقال رسول الله محمد ﷺ: يوشك الأمم أن تتداعى عليكم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير لكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

وها نحن اليوم نمسك بتلابيب الدنيا بغباء لم يكن معهودا فينا، وقد آثرناها على كل شي، وتجاوزنا بحبها حدود الحب نفسه، حتى أصبحنا آثمين خاصة عندما ضربنا قول الله تعالى: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:١٧]، فأنسانا حبنا للدنيا لحظة الموت أو سكراته، أو ما سيترتب عليه عندما سنقف بين يد الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون

(وللأمانة نقول: توقفنا كثيرًا عند قول أحد صحابة رسول الله:- اطلب الموت توهب لك الحياة، حتى أدركنا ولو بعد حين، دلالات عديدة لذلك القول الذي صار مأثورا، فتأكد لنا أن مصيبتنا تكمن في قراءتنا المغلوطة لذلك القول، فقد بالغنا في طلب الحياة الدنيا عندما تطاولنا في البنيان (المادي) وأمعنا في استحلال الحر والحرير والمعازف، وتركنا نساءنا مائلات مميلات، فوهبنا الموت على طبق من المهانة والهوان، فماتت فينا قيم المروءة والغيرة والشهامة، قبل أن نموت سريريا، فخسر جلنا الدنيا والآخرة معا، بينما ربحها من اشترى الآخرة بعرض الدنيا الزائل، وقد استنبطنا بعضا من المواقف الجهادية للسلف الصالح، الذي أعزه الله بالجهاد والمجاهدة، وبالصبر والمصابرة، فعاش الحياة الدنيا سعيداً كريما هانئا، فمنحته سيرته العطرة مقومات الخلود في الدنيا، وكرمة الله تعالى بالخلود في فردوسه الأعلى في الحياة الآخرة.

وبالرغم من كل ما تعرضنا له من تداعيات أصابت الأمة الإسلامية بمقتل فإننا نقول وبثقة عالية إننا قادرون على أن نبني دولة الإسلام في نفوسنا وأن نسمو فوق كل جراحاتنا، ولنا هنا أن نتذكر الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي أسلم وعمره ثلاثون عاما واستشهد بعد سبع سنين من إسلامه، لكنه والحق يقال اختصر خلال تلك الفترة الوجيزة كل الزمان ورعا وتقوى فتمسك بعرى الإسلام الحنيف حتى صار قدوة للمسلمين

وقد قال عنه الرسول الأمين محمد ﷺ بعد استشهاده : مات سعد فاهتز لموته عرش الرحمن .وإذا كنا نريد الحياة الحرة الكريمة فعلينا أن نحسن صناعة الموت (الشهادة في سبيل الله) فللشهيد كما يقول المصطفى ﷺ عند الله ست خصال : يغفر له عند أول دفقة دم .. ويؤمن من فتنة القبر.. ويؤمن من فزع يوم القيامة ويلبس ثوب الوقار ويشفع في سبعين من أهله، ويزوج في اثنتين وسبعين من الحور العين (رواه الترمذي) وقد أعطى للشهيد منزلة لو أدركها كل ذي بصيرة من المسلمين للبى نداء ربه في مجاهدة أعداء الإسلام ورد كيدهم إلى نحورهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩]. إن الخوف من الموت وحده هو الذي يمنع المسلمين من طلب الشهادة، وحبهم للحياة الفانية هو ما يعيقهم من نيلها، متناسين أن حياة الإنسان بعد موته أبعد مدى وأجمل من حياته الدنيا وإذا كنا لا ندرك هذا الآن يمكن أن نقول : هل للطفل أن يدرك الغريزة الجنسية؟ الجواب قطعا لا لأن الطفل لم يشعر بعد رغم أنه سيدركها في يوم ما، أما الإنسان قبل موته فهو كذلك لا يعرف بعد الموت ما شكل حياته بعد موته لأنه لم يرها ولم يحدثه أحد سبقه إليها عنها ... والدنيا كلمة جاءت من معناها (السفلى) وهذا دليل على أنها دونية وهي غير السمو والارتقاء الذي سيكون عليه في الآخرة إذا ما دخل في مرضاة الله قولا وعملا

ولا بد لنا أن نذكر ببعض الشواهد التاريخية التي تؤكد على توق المسلمين الأوائل للشهادة ليبلغوا الإسلام إلى الذي بلغه ذلك الدين الحق:

١- قال الرسول الكريم محمد ﷺ : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه، وفي حديث آخر قال الهادي البشير ﷺ : من مات ولم يغز ولم تحدثه نفسه في غزو مات على شعبة من نفاق، ومما قاله ﷺ : الكل يوم القيامة يبعثون عراة إلا الشهداء فهم يبعثون كاسين ورائحتهم المسك.

٢- بعد أن انتهت معركة أحد إلى ما انتهت إليه جاء الناس لينقلوا لحمنة بنت جحش خبر استشهاد أخيها عبد الله وهي تقول لهم ما فعل برسول الله؟ (بعد ما أشيع أن النبي قد قتل) ثم أخبروها باستشهاد خالها الحمزة عليه السلام وهي ما زالت تقول: ما فعل برسول الله ؟ بعد ذلك أخبروها باستشهاد زوجها مصعب بن عمير ولم تكن ترد عليهم إلا بقولها ما فعل برسول الله ؟ فيقولون لها : هو بخير فتقول لهم: لا والله حتى أراه بعيني فجاؤوا بها إليه فقالت له : كل مصيبة بعدك هينة يا رسول الله.

٣- في معركة بدر كانت الموازنة العسكرية قلقة بين جيش المسلمين وجيش المشركين (عدة وعددا) فما كان من رسول الله ﷺ ولغرض إعادة الموازنة أن يقول:- قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فقاموا وجاء رجل اسمه عمير فقال: بخ بخ أرجو أن أكون من أهلها فقال له الرسول ﷺ : وأنت من أهلها، وكان في يد عمير بعض التمرات فرماها من يده وهو يقول:- ليس بيني وبين الجنة إلا أن آكل هذه التمرات فرماها وقاتل حتى قتل.

٤- أوصى الرسول ﷺ ابن عمته صفية أن يمنع أمه عن رؤية أخيها الحمزة بعد استشهاده (في أحد) لكي لا تصاب بالذهول لما ترى عليه الحمزة(بعد تقطيع جسده) فقال لها ابنها: ارجعي يا أماه، فرجعت لكنها جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت له : أرضانا ربنا كثيرا أفلا نرضى عنه اليوم؟ فابتسم النبي ودعاها تراه فوصلت إليه وصلت عليه وانصرفت.

٥- أشيع في معركة أحد أن رسول الله ﷺ قد مات وقد قال بهذا نفر كثير فرد عليهم الباقون: موتوا على ما مات عليه رسول الله .

٦- اخترق أنس بن النضر- رضي الله عنه جيش المشركين في أحد فاستوقفه سعد بن معاذ وسأله إلى أين يا أنس ؟ فقال:- الجنة أشم رائحتها فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه أين قال: تحت جبل أحد، وبهذا الصدد يقول رسول الله ﷺ:- إن رائحة الجنة تشم عن مسيرة خمسمائة عام وقد وجد المسلمون أنس بن النضر رضي الله عنه شهيدا تحت جبل أحد كما كان قد أخبره قبل استشهاده.

٧- عندما حمي وطيس المعركة رأى المسلمون فارسا ملثما ظنوه خالد بن الوليد وما أن انجلت الغبرة من المعركة حتى تبين لهم أنها خولة بنت الأزور، ولما سألوها قالت: جئت لثأر أخي ضرار.

٨- رأت أم عمارة رضي الله عنها ولدها حبيب بن يزيد رضي الله عنه وهو يسقط شهيدا في معركة اليمامة ولم يشغلها استشهاده عن مقاتلة المرتدين في تلك المعركة حتى قطعت ذراعها وهي تشارك في مقاتلة مسيلمة الكذاب مع وحشي قاتل حمزة عليه السلام .

٩- كان لعبد الله بن حرام (تسع بنات) ولما نودي للجهاد أراد أن يذهب لقتال المشركين فنافسه في ذلك ولده الذي ليس له ولد سواه (جابر) فاتفقا على إجراء القرعة بينهما فكسبها الأب فقال له ولده جابر: دعني أذهب مكانك يا أبتي، فقال له والده: لو كانت غير الجنة لأعطيتك إياها .

١٠- نصحوا لامرأة لها سبع بنات وقد كان زوجها (أكالا) أن تستعطف خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكي لا يرسل زوجها إلى القتال فقالت لهم:- لقد علمت زوجي أكالا ولم أعلمه رزاقا، فإن ذهب الأكال لم يذهب الرزاق.

١١- لم يتقاعس أبو أيوب النصاري ﷺ عن الاشتراك في معارك الجهاد حتى حينما بلغ عمره الثمانين ولما جاء بعض المسلمين ليقنعوه بفكرة عدم الاشتراك في الجهاد وهو في هذا السن رد عليهم قائلا: إن الله قد قال: انشروا خفافاً وثقالا.

١٢- جاءت امرأة إلى القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقالت له والله لا أملك إلا ضفيرتي هذه، بالله عليك يا سعد اجعلها لجاما لفرسك، يقول سعد رضي الله عنه فبكيت (وفي أتون المعركة جاءه غلام) وقال له: أريد أن أجاهد معك فمنعه لصغر سنه، فرد عليه الغلام قائلا: ما لك أنت؟ البيعة بيني وبين الله، ودارت رحى المعركة وسقط الغلام على أرض المعركة فرءاه سعد وهو في النزع الأخير فقال له سعد: بلغ رسول الله ﷺ عني السلام جزاك الله عنا ألف خير، فقال له الغلام: وأنت أبلغ أمي عني السلام ، فقال له سعد: ومن هي أمك؟ قال : صاحبة الضفيرة .

١٣- دعت أم المؤمنين زوجة الرسول (أم سلمة) رضي الله عنها ولدها عمر بأن يلزم علياً ولا يتركه وقالت له: إني لأرجو أن تموت معه شهيدا

١٤- في معركة اليرموك بلغ عدد جيش الروم أربعمائة وثمانين ألفا بينما كان عدد جيش المسلمين أربعة وعشرين ألفا، ومع كل هذا الفارق العددي تحقق للمسلمين النصر الذي أعزهم الله به .

١٥- بعد معركة نهاوند جاء الخليفة عمر رضي الله عنه من يروي بعض وقائع المعركة ويشير إلى أسماء بعض شهدائها بالقول: إن فلانا وفلانا وفلانا قد استشهدوا .. إلخ وهناك شهداء لا أعرفهم فرد عليه عمر رضي الله عنه : الله الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وأخلاقهم .

١٦- جاء غلام صغير ومعه صرة أرسلتها أمه معه إلى القائد عقبة ابن نافع رضي الله عنه ففتحها فوجد بداخلها رسالة مكتوب فيها : إني أرملة شهيد ومشلولة وليس معي شيء فآثرتُ أن أبعث لك بجديلتي هذه.

١٧- أراد الحجاج بن يوسف الثقفي إغاظة أم عبد الله بن الزبير (أسماء بنت أبي بكر) والتشفي بها بعد قتله لولدها فلم تهادنه، فجاءها وكان عمرها ثمانين عاما وقال لها: أرأيت كيف عملت بابنك؟ فردت عليه قائلة : أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك.

١٨- بعد معركة بلاط الشهداء عام ٦٣٥ م خاطب قائد المسلمين البحر قائلا: هل وراءك أرض تفتح فافتحها ؟

١٩- أحيط الثائر العربي عمر المختار علما أن عفوا عاما سيصدر عنه إذا ما أمر المجاهدين بوضع السلاح، على أن يكتب ذلك فرد عليهم قائلا: السبابة التي أشهد بها بوحدانية الله لن أجعلها تكتب وثيقة الاستسلام فنال الشهادة .

٢٠- وما دمنا بصدد الحديث عن الشهادة والشهداء يمكننا القول إنَّ سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليهما السلام قد جعل طريق الشهادة معبدا بالمبادئ والقيم العليا وكان دمه الزاكي بواقعة الطف بكربلاء بداية لنهاية الظلم وقد تمثل الأبيات التالية قبل استشهاده: (كما ورد في تاريخ الطبري):

سأمضي وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وواسى رجالا صالحين بنفسه

وخالف مثبورا وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم أنم

كفا بك ذلا أن تعيش وترغما

٢- الملحق الثاني:

من بين أهم الشواهد التي تدل على تداعي الأمم علينا كمسلمين بالقول الصريح والفعل القبيح بعض ما جاء على لسان العديد من دهاقنة (المسيحية الصهيونية) في الولايات المتحدة والعالم والتي تعتقد بضرورة بسط نفوذ إسرائيل على كل فلسطين بما فيها القدس الشرقية والغربية هدم المسجد الأقصى كبشرى بعودة السيد المسيح عليه السلام إلى الأرض ثانية وبكل الوسائل المتاحة، ومنها استخدام سلطة القوة وإرهاب الشعوب وكأنهم في الذي ذهبوا إليه يريدون أن يصوروا رسول الحب والسلام عيسى ابن مريم عليهما السلام وكأنه داعية للقتل ورسولا للإرهاب (وللحق نقول) : إن مجلس الكنائس في العديد من دول العالم يتقاطع مع مفاهيم هذه الحركة) .

١- في عام ١٦٤٩ م وجه (اللاهوتيون) المتطرفون رسالة إلى الحكومة البريطانية يدعونها فيها إلى وجوب أن تحوز بريطانيا شرف إعادة اليهود إلى فلسطين.

٢-في عام ١٩٧٦ نشرت إحدى الصحف الأمريكية دعوة مراكز صنع القرار الإستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية لإشعال حرب مذهبية بين الجنوب الشيعي الذي تؤيده إيران، والشمال السني الذي تؤيده تركيا في العراق، مما سيوقع الدولتين في حرب طاحنة.

٣-الحرب الأمريكية على العراق متوقعة منذ عشرات السنين وهي حرب تلمودية قائمة على أساس الثأر للسبيين البابليين وهي حرب مؤجلة وقد جاء في التلمود: اجعلوها خرابا لا يسكنها إلا الفئران، حتى لا يجد بدوي فيها مكانا يربط فيه ناقته .

٤-قال رئيس وزراء إسرائيل السابق(نتن ياهو) في كتابه (سلام الردع) : سنجعل العراق مثالا مرعبا لكل من تسول له نفسه أن يرمي إسرائيل بوردة.

٥-كتبت صحيفة نيوزوويك في أيلول عام ٢٠٠١ م مقالا جاء فيه : نريد حربا داخل الإسلام .

٦-ما يزال مشروع الرئيس الأمريكي الأسبق (ترومان) في (إقامة إمبراطورية العالم الأمريكية) قائما كما جاء في كتابه (الحرب العالمية الرابعة) وهو يريد فيه حربا على الإسلام .

٧-يقول القس الأمريكي(فرانكلين جراهام) الصديق الروحي لرئيس الإدارة الأمريكية جورج بوش : إن الدين الإسلامي دين شرير وخبيث .

٨- قامت دول الاتحاد الأوربي وبمباركة أمريكا في مؤتمر (بروكسل) – حوار الحضارات – بتبني عدد من القرارات التي تدعو إلى مراقبة المسلمين في أوروبا، ومضايقتهم والتعامل معهم على أساس أنهم أعداء.

٩- قال الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريجان) وهو أحد أعضاء حركة (المسيحية الصهيونية) : أتمنى أن يكرمني الله بالضغط على الزر النووي لأعجل بعودة السيد المسيح عليه السلام (وهو يشير في ذلك إلى معركة هارمجدون التي ستحدث على أرض فلسطين بين المسلمين واليهود اعتقادًا منهم أنها بشرى بعودة السيد المسيح عليه السلام إلى الأرض).

١٠-يقول (ديفد فرونكين) في كتابه (سلام ما بعده سلام):- عندما احتلت بريطانيا العراق عام ١٩١٧ أنعش ذلك الاحتلال آمال (بريطانيا لويس جورج) لاحتلال القدس مباشرة، بما تمثله لهم من رمز عظيم، مما ألهمهم احتلالها في نفس العام .

١١-من بين أحد أهم زعماء الحركة المسيحية الصهيونية (جيري فورويل) والذي كان قد تطاول عل نبينا محمد ﷺ بكلمات (نستحي من الرسول المصطفى ﷺ أن نأتي على ذكرها لما تحمله من بذيء الكلام)، هذا الفورويل وهو من أقرب المقربين للرئيس الأمريكي جورج بوش كرمته إسرائيل (أرييل شارون) بأرفع الأوسمة.

١٢-قال الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران) : لو وصل الإسلاميون كرسي الحكم في الجزائر لتدخلت فرنسا عسكريا.

١٣-كان الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغن) أول من دعى إلى إمبراطورية العالم الأمريكية بعد الرئيس الأمريكي (ترومان) الذي هو أول من أمر بضرب هيروشيما وناكازاكي بالقنبلة النووية.

١٤- تقول(كريس هايسل) كاتبة خطابات الرئيس الأمريكي السابق (لندن جونسن) ومؤلفة كتاب (النبوة والسياسة) عام ١٩٧٩م إنها تعرضت لضغوط كثيرة لأنها أرادت أن تكشف عن الوجه القبيح للمسيحية الصهيونية بعد أن قررت فك ارتباطها بها.

١٥- قال(روبرت كريستيون) أحد أشهر الزعماء المحافظين في الحركة المسيحية الصهيونية بعد حرب الخليج الثالثة : إن العلاقة بين الإدارة (يقصد الإدارة الأمريكية والحركة الصهيونية) منسجمة، وهو سعيد لتوجيه ضربة للعراق (والمحزن في الأمر) : أن أحد أقطاب ما يسمى بالمعارضة العراقية (كنعان مكية) كتب يقول : الضربات الصاروخية على بغداد كانت أجمل معزوفة موسيقية سمعتها في حياتي.

١٦- قال المرشح للرئاسة الأمريكية (جوزيف ليبرمان) : إن أفضل حل لنا مع الدول العربية والإسلامية، أن نعرض عليها النظم والقيم التي نراها ضرورية فتقبلها (ومن المؤسف حقا) أن نرى الأمير بندر سلطان سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن يقول في أكثر من مناسبة: إذا أصيبت أمريكا بالبرد فنحن نصاب بالتدرن .

١٧- بعد حرب الخليج الثالثة .. قال شاؤول موفاز وزير دفاع الكيان الصهيوني : إن أهم أهداف هذه الحرب إخراج العراق من دائرة العداء لإسرائيل ... وقبله قال وزير الخارجية للولايات المتحدة (كولن باول) نريد إراحة إسرائيل من العراق ... أما صحيفة التايمز اللندنية فقد قالت : عندما يتفرغ الأمريكان من الملف العراقي فإنهم سيقومون بتحرير العالم على الطريقة الأمريكية... لكن نائب الرئيس الأمريكي(ديك تشيني) قد سبقهم جميعا في إعلان العداء إذ قال عام ١٩٩١ م : الإسلام عدو لنا.

١٨-يقول دهاقنة (المراكز الإستراتيجية الأمريكية) المعنية بصنع القرار في واشنطن إن نفط العراق يكفي أمريكا لقرن قادم (وتلك أمانيهم) ... أما الكاتبة السياسية البريطانية آن لازالي فتقول: إن هذا القرن قرن أمريكا.

١٩-وفي ضرورة التقاء المصالح الأمريكية والبريطانية يقول رئيس وزراء بريطانيا الأسبق(ونستون تشرشل):- ينسى الكثيرون أن الأمريكيين والبريطانيين يتحدثون لغة واحدة وهي الإنجليزية.

٢٠-في ٣/ ٥/ ٢٠٠٣ م نشرت صحيفة واشنطن بوست مقالا لتوماس فريدمان بعنوان طفلنا الجديد بغداد جاء فيه : لقد تبنينا طفلا اسمه بغداد علينا رعايته(وقد انطوى المقال على سخرية واضحة).

٢١-قال فوكوياما : نريد حربا داخل الإسلام نريد تغيير الإسلام إلى إسلام علماني يقبل الحداثة والعولمة.

٢٢-جاء في كتاب الجوسسة الأمريكية لمؤلفه (هـ.تولي) : إذا أردنا أن نأتي بحاكم عربي فإننا نختاره الأسوأ.

٢٣-لقد كان (تولي) صادقا في قوله فإدارة البيت الأسود الأمريكي أحكمت قبضتها على كل مفاصل العمل العربي بعد ان امتلكت حق تعيين حكام العرب الذين خرج بعضهم من خيمة بريطانية، والبعض الآخر جاء على دبابة أمريكية بعد أن اختارته الإدارة الأمريكية، مما حدا بهؤلاء الحكام أن يختصروا كل شيء في شخصهم .

٢٤-لقد اتهموا الإسلام زورا وبهتانا بالإرهاب وألصقوا به هذه التهمة، واختصروا صورة ذلك الإرهاب بأسامة بن لادن متناسين أنهم هم الذين أمدوا ابن لادن بأسباب البقاء في ثمانينيات القرن الماضي في أفغانستان تحقيقا لمصالحهم الخاصة.

٣-الملحق الثالث:

٧- عن أنس بن مالك ﵁ قال :ألا أحدثكم حديثًا عن رسول الله لا يحدثكم به أحد بعدي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إنَّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل » (رواه البخاري١/ ٢٨ في العلم): ونحن إذا أردنا أن نفتح نافذة على أهمية العلم وخطورة الجهل فينا فقد نأتي على حقائق ربما لم يدركها بعد إلا النزر القليل هذا في جانب وفي جانب آخر فإن الغرب الأوربي(مع من تحالف معه) لم يتفوق علينا اقتصاديا أو عسكريا ولا حتى ثقافيا، إنما كان تفوقه علينا علميا حيث استطاع أن يخترقنا فيسود علينا لحسن استخدامه الأسلحة العلمية التى كانت حكرا علينا (نقصد التفوق العلمي) في وقت كان فيه أعداؤنا أذل من أن يمتلكوا مفردات المنهج العلمي الابتدائي في عصر النهضة الإسلامية حتى تغيرت الموازين وصار عالم الأمس بين ليله وضحاها يمثل نموذجا لجهالة اليوم، وأصبح رعاع الأمس سادة الدنيا وعلماءها...وقد تمثل ذلك في هجرة العقول العربية إلى الغرب (حاضنة العلم والعلماء في زمن العولمة) فمتى ستكون الهجرة المعاكسة ؟؟ ومتى سنعمد إلى استثمار البحث العلمي ونأخذ بفكره استثمار العقول العربية، مع العلم أن حجم هذا الاستثمار في الوطن العربي لايبلغ ٠,٠٢٪ ؟

يقول عبدالله بن مسعود رضى الله عليه : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضة يعني ذهاب أهله، وقد قيل لسعيد بن جبير ﵁: ما علامة هلاك الناس ؟ قال : إذا هلك علماؤهم .. وفي ذات المعنى قال الرسول الهادي ﷺ : (اللهم أسألك علما نافعا)(منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا) (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة) (خيركم من تعلم القرآن وعلمه (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه) (الخيانة في العلم أشد من الخيانة في المال).

ومن الوقائع التاريخية التي لها صلة وطيدة بالعلم والعلماء :

١- جاء للرسول الكريم ﷺ رجل يطلب علما فقال له المصطفى عليه الصلاة والسلام (إن الملائكة تضع أجنحتها لك).

٢- وقع في يد المسلمين في معركة بدر الكبرى سبعون أسيرا من المشركين فأشار عليهم الرسول ﷺ أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين حتى يجيدوا القراءة والكتابة فيتم إطلاق سراحهم، فكان من بين من تعلم على أيديهم (زيد بن ثابت) ﵁ - والذي كان قد جمع القران فيما بعد - .

٣- أشار الرسول الأمين ﷺ على زيد بن ثابت ﵁ أن يتعلم اليهودية فتعلمها في ثمانية عشر يوما. فقال له الرسول الكريم ﷺ: أتكاتبهم بها ؟ قال :أكاتبهم بها .

٤- قال الإمام علي عليه السلام :- العلم خير من المال؛ لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، وهو القائل عليه السلام :- مات خزنة المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة .

٥- بعد أن حفظ الإمام الشافعي رضوان الله عليه القرآن وعمره سبعة أعوام، أرسلته أمه إلى بادية مكة ليتعلم اللغة والنحو والصرف والفقه والعلوم الأخرى لما رأت فيه من فصاحة اللسان، ولم يكن يرافقه أحد من أهل بيته في تلك الرحلة إلا رجاء أمه وأملها في أن يكون لابنها الشأن الذي بلغه، ولنا هنا أن نورد ما قاله في العلم :

كلما أدبني الدهر ... أراني نقص عقلي

وإذا ما أزدت علما ... زادني علما بجهلي

٦- كان عطاء بن رباح عبدا أسود أعتقه مالكه لما فيه من دمامة، وكان كلما أراد أن يشتغل وجد من يرفض تشغيله لنفس السبب، فشكا عطاء ذلك لأمه فسألته: يا ولدي هل تريد عز الدنيا ؟ قال : نعم قالت : اطلب العلم .. ففعل بنصيحة أمه حتى وصل مرتبة لم يبلغها أحد في القضاء، فاستطاع من خلالها أن يستوقف هارون الرشيد على بابه، وأن يجعله يقف في صف من جاءه لرد مظلمة أو إحقاق حق.

٧-لم يتمكن المسلمون في معركة (عين جالوت) عام ١٢٦٠ م من الانتصار على التتار إلا بعد أن توحدت راية العلماء مع راية المقاتلين.

٨- من يصدق أن العلم قد شغل الإمام النووي رحمه الله عن الزواج وهو في سن الرابعة والأربعين، وأن أمه كانت تطعمه الطعام بينما هو منشغل بعلمه عن كل شي ولا يدري إنْ كان قد تناول طعاماً أم لا؟

٩- قال القائد صلاح الدين الأيوبي بعد أن هزم الصليبيين : ما انتصرت بسلاحي بل انتصرت بعلم القاضي الفاضل.

لقد بعث النبي محمد ﷺ هاديا ومبشرا ونذيرا وهو رجل أمي، وإذا ما سلمنا بأن العلماء استقوا علومهم من رسالته فهذا خير دليل على صدق رسالته وربوبية دعوته، وإذا كانت الأمة قد وصلت إلى ما وصلت إليه من مراتب سامية فذاك بسبب ما أفرزته من علم وعلماء وهاهي اليوم وبعد أن تخلى السواد الأعظم من أبنائها عن الغايات النبيلة التى جاءت بها الدعوة الإسلامية، تقف عاجزة عن اللحاق بركب الحضارة.

لقد أجمع المسلمون على أن الرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته والرجوع إلى سنته بعد مماته، واتفقوا أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته ﷺ (كما جاء في مختصر الصواعق المرسلة ٣٥٢/ ٢).

قال أبو حجر العسقلاني: لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أصم وهذا من كراماته، لأنه مبلغ لهم أوامر ربه والصمم يمنع من التبليغ بخلاف العمى .

٤-الملحق الرابع:

انقسم المسلمون بعد القرن الهجري الأول بسبب حالة الانتماء الطائفي إلى شيعة وسنّة كما هو معروف، أمّا الشيعة فهم أتباع آل بيت المصطفى ﷺ وهم بهذا الوصف لن يناصبوا آل ذلك البيت الشريف العداء قطعاً، أما أبناء السنة والجماعة فإنهم بالكلية آخر من يناصب آل بيت النبوة العداء بدليل أنهم أكثر إدراكاً من غيرهم أن الله تعالى لن يتقبل منهم صلواتهم الخمس إلا بعد إقرارهم بمكانة آل بيت النبوة عليهم السلام التي ترقى عندهم إلى مكانة أنبياء بني إسرائيل فهم يرددون في كل صلاة من صلواتهم الخمس عبارة تلزمهم بذلك هذا نصها : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، لذلك صح لنا القول : إنَّ أبناء السنة والجماعة هم من أتباع البيت النبوي الشريف سواء بسواء مع إخوانهم الشيعة العرب وهذا ما سنثبته بالعديد من البينات التي ليس للشك أن يرتقي إليها بشيء، وسنتناول بشيء من الإيجاز بعض ما قاله أئمة وفقهاء السنة والجماعة في أئمة بيت النبي الأكرم ﷺ فرادى وجماعات:

عندما سُئل الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ـ رحمه الله ـ عن أعلم الناس ردَّ قائلاً : أبو عبد الله جعفر المدني (ويقصد الإمام الصادق عليه السلام)،

وقال فيه أيضاً : ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد(فقد تتلمذَ على يديه حتى رأيناهُ يقول : لولا العامان لهلك النعمان)

وكانت وقائع التاريخ قد ذكرت أن الإمام النعمان ـ رحمه الله تعالى ـ قد لاقى جرّاء إيوائه لنجل الإمام الحَسن عليه السلام ـ محمد ذي النفس الزكية ـ عليه السلام شتّى أشكال العذاب.

وقال الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ لمّا آذاه الخليفة المنصور ـ على حد زعم بعض أركان المؤسسة الصفوية ـ ردَّ على من سأله أن يدعو ربه على الخليفة المنصور قائلاً : تركته لقرابته من النبي ﷺ.

ومن بين ما قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في آل بيت النبي ﷺ :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ

يكفيكمُ من عظيم الفخرِ من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

أما الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فقد قال : مَن لم يُربّع بعلي فهو أضل من حمار أهله.

وقال الإمام ابن تيمية الحنبلي الحرّاني ـ رحمه الله ـ : اعلم وفّقني الله وإياك أن ما أصيب به الحسين رضي الله عنه من الشهادة في يوم عاشوراء إنما كان كرامة من الله عزَّ وجل، أكرمه بها ومزيد حظوه ورفع درجة عند ربّه وإلحاقاً له بدرجات أهل بيته الطاهرين وليهيننَّ من ظلمه واعتدى عليه.

وكان الإمام ابن تيمية قد قال في مناسبة أخرى في آل بيت النبوة عليهم السلام : آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ فقال لنا : قولوا : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وقال مساور السعدي : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن يبكي وينادي بأعلى صوته ويقول : يا أيها الناس اليوم مات حِبُّ رسول الله ﷺ فابكوا . وقال الإمام الذهبي : الإمام الصادق شيخ بني هاشم، وكان الإمام الذهبي قد قال في الإمام السجّاد علي بن الحسين عليهما السلام : كان له جلالة عظيمة وحُقَّ له والله ذلك فقد كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه وسؤوده وعلمه وتألهه وكمال عقله.

أما أبو حاتم الرازي فقد قال عن الإمام الصادق عليه السلام : لا يُسأل عن مثله.

وقال يحيى بن سعيد : سمعت عليَّ بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته.

وقال شريك بن عبد الله ـ وهو من أتباع التابعين ـ : لو جاءني أبو بكر وعمر وعلي وسألني كلّ حاجته لقدمت حاجة علي لقربه من الرسول ﷺ.

ومن بين ما قاله الإمام الزُّهري ـ رحمه الله ـ : ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين.

ولستُ وهابياً لكي أنزّه الإمام محمد بن عبد الوهاب عن كلّ شبهةٍ أحاطوه بها في موضوع نظرة الوهابية لآل بيت النبي الأكرم ﷺ لكنّها الحقيقة التي يجب أن تُقال، فقد قرأتُ في مرويات ابن عبد الوهاب إنهُ قال : لآله ﷺ حق لا يشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحق سائر قريش ، وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل.

أما ولده عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فقد قال في الرسالة التي كتبها ـ رحمه الله ـ عام ١٢١٨هـ وردَّ فيها على من افترى عليه وعلى أبيه من قبله وادّعى أنه لا يرى حقاً لآل بيت النبي ﷺ ، فأجاب قائلاً : سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنّا شيئاً من ذلك أو نَسَبهُ إلينا قد كذّب علينا وافترى.

بعد هذا كله دعونا نقف على ما قاله الله تعالى في محكم كتابه العزيز من آيات بينات تحثّنا على الاتحاد والوحدة :

–قال أحسن القائلين الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠].

–ومما قاله تعالى أيضاً : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الأنبياء : ٩٢].

❁ أما الرسول الأعظم ﷺ فقد قال في هذا الشأن : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال أيضًا : «المسلم من سَلِم المسلم من لسانه ويده».

ومما قاله عميد آل بيت النبوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الخصوص :

١- وصف عليه السلام جيش الشام ـ جيش خصمه التقليدي معاوية بن أبي سفيان ـ نقلاً عن الصفحة ١١٤ من الجزء الثالث من نهج البلاغة قائلاً : كان بادئ أمرنا أنّا تلاقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد وديننا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ، ولا يستزيدوننا شيئاً إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان.

٢- وقال عليه السلام أيضاً : من فارق الجماعة شبراً فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه (وهذا ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه).

٣- قال محمد بن الحسن الأسدي : حدّثني يحيى بن مهلب عن سليمان بن مهران قال : حدّثني من سمع علياً يوم صِفين وهو عاضٌّ على شفتيه وهو يقول : لو علمنا أن الأمر يكون هكذا ما خرجنا، اذهب يا أبا موسى فاحكم ولو حزَّ عنقي (وقال بذلك أبو صالح سليمان : وأورده الأسدي، ونقله الذهبي في١-٥١٨ من تاريخ الإسلام.

٤- ونهى علي عليه السلام عن شتم معاوية ولَعْنِ أهل الشام، فقد روي عنه إنه قال ـ لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام ـ : كُفّا عما بلغني عنكما، فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ورب الكعبة المسدنة، ولكن قولوا : «اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم».

(وهذا ما جاء على ذكره الدينوري صاحب كتاب الأخبار الطِوال، ص١٦٥) . وكان عليه السلام يطوف على بغلةِ الرسول ـ الشهباء ـ بين قتلى المسلمين في معركة صفين من كلا الفريقين ويترحّم عليهم.

ولقد كان أئمة آل بيت النبي في أواخر القرن الأول الهجري وما تلاه يدعون أتباعهم ومشايعيهم إلى صلة العشائر والأرحام والخلطاء من الناس ،وعيادة مرضاهم وشهادة جنائزهم وأداء أماناتهم وما إلى ذلك، وإن هم اختلفوا معهم مذهبياً وعلى النحو الآتي :

١- جاء في تفسير البرهان للبحراني وبحار الأنوار للمجلسي ـ أن الإمام الباقر عليه السلام قد قال : يا معشر ـ الشيعة شيعة آل محمد (ولم يقل شيعة علي) كونوا النمرقة -أي الوسادة الصغيرة التي يجلس عليها الإنسان بارتياح فلا هي عالية ولا هي منخفضة- يرجع إليكم الفالي ليجد الاعتدال عندكم ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد : جعلت فداك من الفالي ؟ قال : قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فقد يرتفعون بنا إلى ما يقترب من الخالق الذي لا يقترب منه أحد، فهم ينسبون إلينا ونحن المخلوقون صفات الخالق، فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال : فمن التالي ؟ قال : المرتاد يريد الخبر يبلغه الخير يؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال : والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا.

٢- وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عن الصلاة خلف المخالفين للمذهب، فقال: ما هم عندي إلا بمنزلة الجدار (ذكر ذلك البحراني في ١١/ ٧٧ من الحدائق النظرة، والكاشاني في ٥/ ١٦٤ من الوافي).

٣- وعن معاوية بن وهب، قال: قلت للإمام الصادق ﷺ: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وخلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ فقال ﷺ: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم. (وهذا ما أورده الكليني في كتابه الكافي).

٤- وورد في الكافي عن الكليني بسند صحيح عن زيد الشّحام عن الإمام الصادق ﷺ إنه قال: صِلوا عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسرني ذلك، ويدخل عليَّ من السرور وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك دخل عليَّ بلاؤُهُ وعاره وقيل هذا أدب جعفر فوالله حدثني أبي ﷺ إنَّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي فيكون زينها أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث وإليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنهم فتقول: من مثل فلان إنه لأدّنا للأمانة وأصدقنا للحديث؟.

٥- وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً إنَّه قال : إن المصلي خلفهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله (وهذا ما أورده الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة وتحديداً في الصفحة ٣٨١ من الجزء الخامس منه).

٦- ومما قاله الإمام الصادق عليه السلام لزيد كما روى الصدوق : خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم وعودوا مرضاهم وأشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذنين فافعلوا فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا : هؤلاء الجعفرية رحم الله جعفراً ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا : هؤلاء الجعفرية فعل الله بجعفر أسوأ ما يؤدب به أصحابه.

٧- وقال الكليني في الفروع من كتابه الكافي : من صلى معهم في الصف الأول كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما أورد ذلك البروجردي صاحب كتاب جامع أحاديث الشيعة في الجزء السادس وعلى الصفحة ٤١٦ منه على وجه التحديد).

٨- وقال الصادق في الصفحة ١٤٤ من كتاب البيان نقلاً عن الشهيد الأول محمد العاملي : من صلّى في مسجده ثم أتى مسجدهم فصلى معهم خرج بحسناتهم، وقال أيضاً : إذا صليت معهم غفر لك بعدد من خالفك.

٩- وفي الصفحة ٢٢٤ من الجزء الأول من كتاب الدروس، قال الشهيد الأول : ويستحب حضور جماعة العامة كالخاصة بلا أفضل فقد رويَّ من صلى معهم في الصف الأول كمن صلى خلف رسول الله ﷺ.

وتأسيساً على ما تقدم يُمكن القول : إذا كانت هذه هي نظرة أركان آل بيت النبي المصطفى ﷺ إلى خلطاء الشيعة من المسلمين بشكل عام ممن اختلفوا معهم مذهبياً، فإن في ذلك ما يمكن أن نؤسس عليه مشروعاً لوحدة صف المسلمين، فلماذا لا يجد عمداء البيت الصفوي حرجاً في تمزيق صف المسلمين واللعب على أوتار الطائفية المقيتة؟ فانبروا يقولون :

١- قال نعمة الله الجزائري ـ أحد كبار شيوخ الطائفة الصفوية ـ في الصفحة ٢٧٨ من الجزء الثاني من كتابه الأنوار النعمانية : إن ربهم ـ أي رب أبناء السنة والجماعة ـ هو الذي كان محمداً نبيه وخليفته بعده أبو بكر ونحن لا نقول بهذا الرب ولا ذلك النبي نبينا، إنّا لا نجتمع معهم على إله واحد ولا على نبي ولا على إمام.

٢- وروى الكليني في الصفحة ١٣٥ من الجزء السابع والعشرين من الروضة ما يتناقض مع ما قاله قبل ذلك : إن الناس كلهم أولاد زنا ـ وقال بغايا ـ ما خلا شيعتنا.

تعليق :

وجميل أن نجد الإمام الصادق عليه السلام قد سبقنا إلى ما ذهبنا إليه فقال في حديث أورده ابن بابويه القمي في علل الشرائع : ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلاً يقول : أنا أبغض آل محمد ﷺ .

لقد رأينا كيف كانت العلاقة بين المسلمين في القرون المتقدمة، وكيف كان أئمة آل بيت المصطفى يدعون إلى وحدة المسلمين بصرف النظر عن انتماءاتهم المذهبية، وتأسيساً على ما تقدم يمكننا أن نتفق أولاً على أن الناصبي هو من أمعن في الإساءة إلى النبي الكريم ﷺ ، وأساء عامداً متعمداً إلى أركان ذلك البيت الشريف ،وما دمنا قد أثبتنا بالأدلة العقلية والنقلية براءة أبناء السنة والجماعة والشيعة العرب معاً من كل ما يسيء إلى آل بيت النبي المصطفى ﷺ .. إذن فمن هو الذي يناصب آل ذلك البيت الشريف العداء ؟ ومن هم الذين يقفون وراء المؤسسات التي تستهدفهم بمناسبة وبأخرى وبوسائل عديدة، فكان المكر أكثرها استعمالاً كما سنرى من خلال البحث الذي أوصلنا إلى الطائفة التي كانت أكثر انتفاعاً في استهداف آل بيت النبي العربي محمد ﷺ ؟

عقدة الهزيمة:

لربما أُكِره أحفاد يزدجرد في عام ١٦هـ على قبول الإسلام فرؤوا أن يقاتلوا العرب بسيف الإسلام وعلى قاعدة ـ وداوني بالتي كانت هي الداءُ ـ ثم يجهزوا على الإسلام مرة واحدة خاصة بعد أن أوهموا المسلمين ـ ظاهراً ـ بأنهم من أتباع آل بيت النبي الهادي ﷺ لأنهم الكتلة الأقوى في معادلة الصراع (الّذي افتعلوه) وذلك تحقيقاً لنبوءة زرادشت وقد كانوا يقولون عنه منذ القدم بأنه تنبَّأ لهم فقال : إن الملك يزول من الفرس إلى الروم واليونان في أيام الإسكندر ثم يعود للفرس ثم يزول عنهم إلى العرب ثم يعود إلى الفرس. وقد أيَّدَهُ المنجم الفارسي جاماسب في ذلك، أما هم ـ أي الفرس ـ فقد قالوا : لقد تحققت نبوءة زرادشت وجاماسب في زوال الملك عن العجم إلى الروم واليونان في أيام الإسكندر ثم يعود إلى العجم بعد ثلاثمائة ثم زواله إلى العرب والآن سيعود إلى العجم وتكون عودته على عهد وبيد الصبي الغائب المنتظر الموعود أو بيد الرسول الذي سيبعث في العجم وينزل عليه كتاب من السماء وينسخ بشرعة شريعة محمد ﷺ. (وهذا ما جاء على ذكره عبدالقاهر البغدادي في كتابه الفرقُ بين الفرَق، وصرح به المجلسي ـ في الصفحتين ٢٠٣-٢٠٤ من كتاب حق اليقين). وأرجو ألاّ يتصور أحدٌ أنّ الصفويين يقصدون بهذا (المهدي الذي ينتظره شيعة العرب وسنتهم) إنما هم ينتظرون مهدي العقيدة المجوسية الذي قالوا عنه :- إنه حي لم يمُت وهو من ولد بشتاسف بن مهراسف والذي يدعى أبشاوثن الذي اختفى وغاب في حصن عظيم بين خراسان والصين – على حد زعمهم – فوضع أتباع إسماعيل الصفوي المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية لتحقيق ذلك عشرات الألغام في الطريق التي توصل الشيعة العرب بإخوانهم أبناء السنة والجماعة.

والحق يقال : لقد نجح الفريقان–من أبناء السُنّة والجماعة والشيعة العرب– في تجاوز تلك الألغام إلا لغماً واحداً كانت حشوته فِريتين، أولاهما مظلومية الزهراء وثانيهما حق علي في الخلافة، وعندما انفجر ذلك اللغم أصابت بعض شظاياه عدداً غير قليل من أبناء الطائفتين الشيعة والسنة على حدٍ سواء ، فحدث ما حدث ـ بسبب جهل الجاهلين ونشأت طائفة ثالثة تعزر آل البيت وتوقرهم في العلن لإيهام عوام الشيعة العرب بأنهم من أتباع ذلك البيت الشريف، وتزدريهم عن عمد وترميهم بما ليس فيهم بالسر.

٥-الملحق الخامس:

إذا كان البعض منا قد أدار ظهره عامداً متعمداً لكل ما أصاب الأمتين العربية والإسلامية من ضعف وهوان، وصرفته مباهج الحياة الدنيا عن كل ما تتعرض إليه هاتين الأمتين، فإن الشرفاء من أحرار العالم من الذين ليست لهم منابت عربية أصلا ولم يعتنقوا الإسلام قط، قد هالهم ما حدث للعرب والمسلمين، فاستجمعوا قوى فروسيتهم، وقالوا الحقيقة، التي لم يجرؤ البعض منا حتى ولو في سّره على أن يأتي عليها وللأسف الشديد.

١-قالت المستشرقة الألمانية زغريد هونكة في كتابه (شمس الله تسطع على الغرب) والذي سماه بعض المترجمين (شمس العرب تسطع على الغرب): لم يأت الإسلام للعرب فحسب بل جاء للعالم. أجمع فهل سيظل المسلمون على هذا الجمود؟ أرجوا أن يتبعوا طريق الرسول الكريم فالعالم في فراغه لن تسده سوى تعاليم الإسلام.

٢- وفي ذات السياق قال أستاذ علم النفس في ميونخ الدكتور بوتولوا: أنا لست مرتاحا لما وصل إليه المسلمون من مستوى غير طيب، والعالم الإسلامي يفتقر حاليا إلى تربية سليمة لأولاده (نقلا عن كتاب حوارات مع أوربيين غير مسلمين للدكتور عبد الله الأهدل).

٣- قال الباحث والبروفسور الفرنسي- ليون روشي: - لو تمسك المسلمون بالإسلام لكانوا أرقى العالمين، وأسبقهم في كل الميادين. (أورده الأستاذ أنور الجندي في كتاب آفاق جديدة للدعوة).

٤- وقال عالم اللاهوت الدكتور ميشيل لولنغ: لابد أن يقوم الإسلام بعمل المسلمين الملتزمين وليس بعمل المنحرفين (أورده الدكتور عبد الله الأهدل في كتابه حوارات مع أوربيين غير مسلمين).

٥- ومن أجمل ما قرأت في هذا المعنى النداء العظيم الذي وجهه البروفسور غريسيب مدير جامعة برلين والذي قال فيه: أيها المسلمون ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل.

٦- وقال المستشرف الفرنسي جول لا بوم: ولينتبه المسلمون أي كنز عرفه العالم أضاعوه (ذكره الدكتور حسان شمس الباشا في كتابه (هكذا كانوا يوم كنا).

٧- وقال الفيلسوف الإيرلندي جورج برنارد شو: الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته، وقال أيضا: إن الدنيا بأكملها ستقبل الإسلام، وإن هي لم تقبله باسمه الصريح فستقبله باسم مستعار، وسيأتي يوم يعتنق فيه الغرب دين الإسلام (نقلا عن كتابه الإسلام بعد مئة عام وكتاب الإسلام للدكتور أحمد شلبي).

٨- ويقول الممثل العالمي أنتوني كوين: - أحسست أن الإسلام قوة غير عادية، بعد أن درست الإسلام وشخصية عمر المختار، ووجدت القيمة والسخاء والعطاء والنفس، والناس ينقصهم أن يتعرفوا عليه وعلى تعاليمه (أورده الدكتور رفيق أبو السعود في كتابه إعجازات حديثة).

٩- وفي هذا الصدد يقول الكاتب الروائي الكبير ليوتولستوي:- ستعم الشريعة الإسلامية كل البسيطة لائتلافها مع العقل، وامتزاجها بالحكمة والعدل. (نقلا عن كتاب تصادم الديانات للباحث الفرنسي- جان بول رو)

١٠- وكان غوته (عظيم المانيا) قد قال في ديوانه الشرقي للشاعر العربي: - إذا كان الإسلام يعني الاستسلام لله، فكلنا نحيا ونموت على الإسلام.

١١- ويقول بسمارك بطل وحدة ألمانيا في القرن التاسع عشر، ورئيس وزرائها في كتاب قواعد الحركة في تاريخ العالم: - يا محمد أنا متأثر جدا إذا لم أكن معاصرا لك، إن البشرية رأت قدوة ممتازة مثلك مرّة واحدة، وأنا أعظمك بكمال واحترام.

١٢- أما كارل ماكس فيقول: جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوءة محمد وأنه رسول من السماء إلى الأرض.

١٣- أما الفيلسوف توماس كارليل صاحب كتاب الأبطال فقد وصف الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله: إن محمداً شهاب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٦-الملحق السادس:

تؤلف فئة الشباب الغالبية العظمى من عدد وعديد الفئات العمرية الأخرى في المجتمع العربي والإسلامي، ومن أراد أن يتمعن في صورة الواقع العربي – على وجه الخصوص – فسيرى شباب الأمة العربية قد غالوا في الإساءة إلى تراث الأمتين العربية والإسلامية على حد سواء، وأمعنوا في رسم صورة الواقع المأساوي لهاتين الأمتين، عندما أسرفوا في التشبة بأعداء الإسلام، ولمن أراد أن يختلف معنا في ذلك ندعوة مخلصين لقراءة معطيات الشباب في عصر الرسالة الإسلامية، والتي سنأتي على النزر القليل منها ليرى صوابية ما ذهبنا إليه، وليرى أن دعوتنا للتقدم إلى الوراء دعوة منطقية، ولم تأت من فراغ، سيما وأن المتربصين بنا وبأمتينا المجيدتين يرون في الأوضاع التي تعيشها شباب الأمة مقياساً لقوة الأمة أو ضعفها. فقد كان البرتغاليون يبعثون بحواسيسهم إلى الأندلس، قبل سقوط الدولة الأموية هناك – ليحتكوا في الأوساط الشبابية هناك، وليروا ويسمعوا منهم ما كانوا يفعلون، وما كانوا يقولون، ثم يقيّمون بعد ذلك ضعفهم أو قوتهم، وليكون ذلك مؤشراً لهم على مدى قوة الدولة الأموية في الأندلس أو ضعفها، وبعد جهود مضنية قاموا بها، طرق سمعهم أن شاباً من شباب المسمين قد بكى عندما هجرته حبيبته، مما دعاهم إلى تجهيز جيش قوي استطاع أن يهزم دولة سادت ثمانية قرون، واستطاعوا يومها إخراج المسلمين من الأندلس بعد شهرين من القتال.

وإننا نجد أن من المفيد حقا أن نأتي على ذكر بعض الشواهد التاريخية والوقائع التي تضعنا أمام معطيات شباب الأمة الإسلامية وما تلاها في عصر شهد دورا متفردا لشباب المسلمين في نشر الدعوة الإسلامية .

١- في مطلع العشرينيات من عمرة نام إمام المتقين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في فراش الرسول الكريم محمد ﷺ ، وقد عرض حياته في تلك الليلة التي هاجر فيها المسلمون إلى المدينة المنورة لخطر الموت الذي هو أقل ما كان ينتظره، إذ اجتمعت كلمة المشركين على قتل الرسول الكريم ﷺ بينما هو نائم ويطعنوه طعنة رجل واحد

٢- رأى الخليفة أبو بكر الصديق رضوان الله عليه شابا يتمايل في مشيته فاستوقفه وسأله، أمريض أنت ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين فقال له أبو بكر رضي الله عنه : لانحب ولا نرضى لأمة محمد أن تمشي هكذا .

٣- فتح القائد محمد الفاتح قسطنطينية وعمر (٢٣) عاما، كذلك فتح القائد محمد بن القاسم بلاد السند وعمرة (١٧) عاما .

٤- يوم كان القائد صلاح الدين الأيوبي شاباً جاءه من يروى له طرفه فلم يضحك الأيوبي مما سمع فسأله : لم لاتضحك يا أمير ؟ فقال: كيف أضحك والمسجد الأقصى أسير .

٥- كان الصحابي الجليل مصعب بن عمير ﷺ ابن أغنى نساء مكة، وكان الناس يستدلون عليه مما كان يضع من عطور، وحدث أن هددته أمه بحرمانه من كل ماتملك إذا هو لم يعدل عن دين محمد، فأبى ذلك وأصر على أن يكون في طليعة المضحين من أجل نصرة الإسلام تاركا وراء ظهره المال والجاه.

٦- قال شاب مسلم فقد بصره : الحمد لله الذي وهبني قلبا يذكره ولسانا يشكره .

٧- في مكة المكرمة تمكن المشركون من تكسير عظام المقداد بن الأسود الكندي لكنهم لم يتمكنوا من ثنيه عن السير في طريق الحق فظل المقداد راسخ العقيدة قوي الشكيمة حتى صار مثلا وأنموذجا يقتدى به رضوان الله عليه.

٨- قطع المشركون الطريق على صهيب الرومي ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة فجردوه من كل شيء ونجا بنفسه، فلما التقاه الرسول الهادي صلوات الله وسلامه عليه في المدينة قال له :- لقد ربح البيع يا صهيب... وكأنه ﷺ قد وقف على ما جرى لصهيب في تلك الواقعة... والجدير بالذكر أن الرسول الكريم ﷺ قد وصف تراب قبر صهيب الرومي رضوان الله عليه بعد استشهاده بالشفاء.

٩- قاتل عمارة بن الوليد (شقيق خالد) أباه في معركة أحد دفاعا عن الإسلام الحنيف فرضى الله تعالى عن عمارة .

١٠- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مالك بن الأشتر النخعي: لقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ ، فقد أفنى ذلك الصحابي الجليل حياته دفاعا عن الحق وأظهر من المواقف الشجاعة التي لاتعد ولا تحصى، ويقينا أن مالك قد عرف النعيم الذي ينتظره فتمنى الموت .

١١- ولو تأملنا موقف الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﵁ وقد فاضت روح أمه رضوان الله عليها إمام عينيه فكانت أول شهيدة في الإسلام، آثرت الموت على ألا تذعن لإرادة المشركين كذلك قضى أبوه ياسر بن عامر نحبه بعد أن أوسعه المشركون ضربا وطعنا وإن كان عمار أمام هذين المشهدين قد ضعفت همته بعض الشيء إلا أنه وجد في عفو رسول الله ﷺ أحسن العزاء له لأنه لم يمالئ المشركين عن ردة في نفسه، بل بسبب هول ما رأى فسلام على أمه سمية بنت خياط وسلام على بعلها ياسر بن عامر ورضوان الله على ولديهما رجل المواقف الصعبة عمار بن ياسر.

١٢- دخل على الخليفة عمر بن عبد العزيز ﵁ في أول ولايته وفود المهنئين من كل جهة فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم يبلغ عمره أحد عشر عاماً فقال له عمر :- ارجع أنت وليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام :- الله الله يا أمير المؤمنين المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا، فتعجب الخليفة من كلامه وأنشد يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالما

وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده

صغير إذا التفت عليه المحافل

١٣- دخل الخليفة العباسي (المهدي) مدينة البصرة فرأى (إياس بن معاوية) وهو شاب حدث وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة فقال المهدي : أما كان بينهم من يتقدمهم غير هذا الشاب؟ ثم التفت إليه وسأله: كم عمرك يا فتى؟ فأدرك إياس مراد الخليفة ورد عليه قائلا:- عمري كعمر أسامة بن زيد لما ولاه الرسول ﷺ جيشا فيه أبو بكر وعمر فقال الخليفة المهدي معجبا : بورك فيك.

وقبل أن نأتي على نهاية ما بدأناه من حديث وجدنا أن من الأحسن أن نستشهد بما دعا إليه المسلمون الأوائل: ميدانكم الأول أنفسكم فإنكم إن انتصرتم عليها كنتم على غيركم أقدر وإن لم تفعلوا كنتم على غيركم أعجز.

أهم المصادر

أولاً: القرآن الكريم:

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- مسند أحمد.

٥- المستدرك للحاكم.

٦- تاريخ المغول وسقوط بغداد : د. رجب محمود بخيت.

٧- دولة السلاجقة : د. على الصلابي.

٨- شهداء النهضة العربية : فوزي الخطبا.

٩- الأعلام : خيري الدين الزركلي .

١٠- السلوك لمعرفة دول الملوك: للمقريزي .

١١- فلسطين تاريخها وقضيتها : د. أحمد سعد الدين.

١٢- الخديعة الكبرى : تيري ميسان.

١٣- الكامل في التاريخ : ابن الأثير.

١٤- الخلافة العباسية- السقوط والانهيار : فاروق عمر فوزي

١٥- الدولة العثمانية : د. على الصلابي.

١٦- التاريخ يعيد نفسه : محمد العبدة.

١٧- أورام في الجسد الإسلامي : أسعد الغريري.

الفهرس